

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة د الطاهر مولاي سعيدة

كلية العلوم الإجتماعية والإنسانية

قسم العلوم الإنسانية

الشعبة : تاريخ

التخصص : تاريخ وحضارة المغرب الإسلامي

مذكرة تخرج لنيل شهادة الماستر في التاريخ بعنوان :

الفقيه والقاضي سعيد بن سحنون تنوخي

240-160 هـ / 854-777 م

إشراف الأستاذ:

بوداعة نجادي

من إعداد :

ليتيم خديجة

السنة الجامعية : 2015/2014

مقدمة:

مثلت الحياة العلمية بإفريقية مظهرا من مظاهر الحضارة الإسلامية خاصة في عهد الأغالبة (184 هـ - 296 هـ / 800 هـ - 909 م)، حيث انتشرت وتوسعت الكثير من العلوم والمعارف العقلية منها و النقلية، والتي رفع شأنها الكثير من العلماء، وقد تطورت بالموازاة وانتشرت الكثير من المذاهب الفقهية لعل أبرزها المذهب المالكي الذي عرف انتشارا كبيرا بفعل جهود علمائه في كل بقاع العالم الإسلامي، ومن بين هؤلاء العلماء الفقيه والقاضي سعيد بن سحنون التنوخي و هو موضوع البحث الذي يعتبر أكبر شخصية فقهية وعلمية ظهرت في تاريخ المغرب الإسلامي بصفة عامة والقيروان بصفة خاصة خلال القرن الثاني هجري والثامن ميلادي، حيث كان له دور كبير في مختلف الأصعدة العلمية والاجتماعية وحتى السياسية منها، التي أثرت في الراعي كما أثرت في الرعية.

وللموضوع أهمية كبيرة لما يكتسبه من قيمة علمية في التاريخ الإسلامي، حيث انه يسלט الضوء على حياة سحنون بن سعيد التنوخي أحد العلماء الذين ظهوروا بالقيروان خلال الفترة المذكورة آنفا

ورغم المكانة العالية التي تبوأ بها هذا الفقيه إلا أنها لم تحض بالدراسة الكافية باستثناء بعض الدراسات العامة وفي سياق سطحي.

ومن الأسباب التي جعلتنا نختار هذا الموضوع هو إعجابي بهذه الشخصية ومحاولة معرفة كل ما يتعلق بحياته وإبراز الطابع الذي تكتسبه مثل هذه الدراسات الدينية المذهبية التي تساهم في إثراء النقاش العلمي والأكاديمي .

وتتمثل إشكالية البحث الرئيسية حول الدور العلمي والقضائي للفقيه سحنون بن سعيد التنوخي فكان لابد من طرح تساؤلات التالية:

أ — كيف كانت نشأته العلمية؟

ب — ما هي مجهوداته في نشر المذهب المالكي؟ وما هي أهم إنجازاته العلمية؟

ج — و ما مدى مساهمته في الإصلاح القضائي؟



د — وما موقف سحنون من السلطة الحاكمة؟

وللإجابة على هذه الإشكالية والأسئلة الفرعية ، قسمنا بحثنا إلى مدخل وثلاث فصول رئيسية وخاتمة، ومجموعة من الملاحق التي ارتأينا أنها تخدم الموضوع.

تناولنا في المدخل الأوضاع السياسية والاقتصادية والثقافية في إفريقية قبيل و أثناء حياة دولة الأغالبة ،بينما خصصنا الفصل الأول لنشأة سحنون بن سعيد العلمية من حيث المولد والنسب ،وبداية تكوينه العلمي ، بالإضافة إلى رحلته لطلب العلم ،وأهم شيوخه وتلاميذه، و تطرقنا في الفصل الثاني إلى الدور العلمي للفقير سحنون بن سعيد التنوخي ، فتحدثنا فيه عن دوره في نشر المذهب المالكي في المغرب الإسلامي ، و جلوسه للتدريس،وموقفه من أهل البدع و محنة خلق القرآن، وأهم إنجاز علمي له وهي المدونة الكبرى و مكانتها العلمية،و عنوانا الفصل الثالث بتوليه منصب القضاء ودوره في إصلاحاته، متناولين فيه القضاء في دولة الأغالبة قبيل تولى سحنون وتوليه منصب القضاء،و تنظيماته القضائية ،وموقفه من السلطة الحاكمة وما يقع بينهم من صدمات.

ثم خاتمة وهي عبارة عن إجابات حول إشكالية الموضوع والتساؤلات المطروحة في المقدمة في شكل نتائج، و قائمة المصادر والمراجع.

وقد اعتمدنا في دراستنا على مجموعة من المصادر والمراجع، فالمصادر التي اعتمدنا عليها لإنجاز هذا البحث فهي متنوعة وكثيرة أغلبها كتب طبقات التراجم ومصادر عامة عن المغرب والأندلس بإضافة إلى بعض المراجع الحديثة التي تتحدث عن الفقير بصفة عامة.

أولا المصادر:

1- كتب التراجم :

تبحث هذه الكتب في حياة مشاهير الرجال وأعمالهم كالعلماء والسياسيين والأدباء وغيرهم بالنظر إلى أن موضوع هذه الدراسة يبحث في دور علماء

المغرب ونشاطهم العلمي في المغرب الأدنى فمن الطبيعي أن يكون هذا النوع من الكتب والمؤلفات من المصنفات الأكثر اعتمادا والتي كان منها:

1- كتاب طبقات علماء إفريقيا، لأبي العرب وهو كتاب يترجم لفئة من العلماء تجمعها صفة الاهتمام بالدراسات الدينية، وتتميز تراجم هذا الكتاب بدقة في الوصف مع قدرة فائقة على إيراد تفاصيل العالم أو الفقيه وترجمة علماء الفقه المالكي خاصة أولئك الذين برزوا في المغرب الإسلامي منهم الفقيه سحنون بن سعيد التنوخي.

2- كتاب ترتيب المدارك وتقدير المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك بأجزائه الخمسة كتاب القاضي عياض أبو الفضل اليحصبي، الذي ساعدنا في الفصل الثاني في معرفة حياة الفقيه العلمية بإضافة إلى موقفه من البدع و محنته خلق القرآن .

3 — كتاب رياض النفوس في طبقات علماء إفريقية وزهادهم ونشاطهم وسير أخبارهم وفضلائهم وأوصافهم للمالكي أبو بكر عبد الله بن محمد بجزأيه 1 و2 ،الذي أفادنا في معرفة نشاته العلمي وتدوين أهم كتاب في الفقه المالكي المدونة الكبرى.

4 — الديباج المذهب في معرفة أعيان المذهب ابن فرحون إبراهيم بن علي المالكي بجزأيه 1، و2 الذي أمدنا بمعلومات حول معرفة دوره في نشر المذهب المالكي و دوره القضائي.

1- المصادر العامة:

وهي كتب ومؤلفات أرخت لبلاد المغرب الإسلامي لفترة طويلة شملت الحياة السياسية و الثقافية أهمها:

1- كتاب ديوان العبر والمبتدأ و الخبر في تاريخ العرب و العجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر لعبد الرحمان ابن خلدون ،وقد اعتمدت فيه علي

الجزء الرابع وهو الجزء الذي يكون يكاد متخصصا في تاريخ الدويلات أهمها دولة الأغالبة وأخبار أمرائها المتعاقبين عليها وهذا ما استفدنا منه في المدخل.

2- تاريخ افريقية والمغرب للرقيق القيرواني وهو كتاب في تاريخ افريقية والمغرب عامة منذ الفتح حتى وفاة المؤلف وقد أفادنا في المدخل والفصل الأول من خلال أخبار الأغالبة والتطور المذهبي في افريقية.

بالإضافة إلى كتب جغرافية منها كتاب المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب وهو جزء من كتاب المعروف بالمسالك والممالك لأبي عبيد الله البكري وقد وصف فيه صاحبه بدقة الأقاليم وأهم الطرق و المدن لبلاد المغرب الإسلامي و لا يمكن الاستغناء عنها لما تحتويه من أوصاف البلدان تحديد المواقع.

ثانيا: المراجع:

وكانت الضرورة العلمية والمنهجية تقتضي منا الرجوع إلى المراجع المتخصصة في الفقه المالكي والتي ذكرت في طياتها عن الفقيه ودوره العلمي و القضائي أهمها:

1- كتاب المذهب المالكي بالمغرب الإسلامي حتى منتصف القرن الخامس هجري، الحادي عشر ميلادي لنجم الدين الهنتاتي، أفادنا في معرفة الأثر العلمي لإمام سحنون بإضافة إلى مواقفه من أهل البدع والمذاهب الأخرى.

2- كتاب الأغالبة وسياستهم الخارجية (296-184هـ) لمحمود إسماعيل و الذي يتحدث عن دولة الأغالبة وأوضاعها السياسية والاقتصادية التي تطرقنا إليها في المدخل.

3- كتاب مدرسة الحديث في القيروان من الفتح الإسلامي إلى منتصف القرن الخامس الهجري من تأليف الحسين بن محمد شواط، وهو كتاب ذو قيمة علمية جمع فيه المؤلف حياة بعض العلماء في القيروان ومنهم سحنون ودوره القضائي، كما اعتمدنا على عدة مذكرات ساعدتنا في إثراء موضوعنا.

ولدراسة مثل هذه المواضيع يحتاج الباحث إلى المنهج التاريخي السردى والوصفي لاستخراج الأحداث وتسجيل الوقائع، وذلك من خلال تتبع المسار

التاريخي للفقير واستخلاص ميزته ووصف حالته،بالإضافة إلى المنهج التحليلي الذي فرضته علينا طبيعة الدراسة والاستنتاج وتبيان مواقف الفقيه.

أما عن الصعوبات التي اعترضتنا في كتابة الموضوع، فهي لا تختلف في العادة عن تلك العقبات التي تواجه أي باحث أكاديمي في الحصول على المصادر والمراجع التي تخص الموضوع بصفة خاصة،وقلة المراجع المتخصصة في هذا الجانب، فإن جل هذه المادة كانت من كتب التراجم مع تحليلها وتوظيف معلوماتها

مدخل:

شهد المغرب الإسلامي منذ بداية القرن 2هـ/8م قيام دويلات مستقلة في سائر أجزاءه، أقدمها دولة بني مدرار (140هـ - 296هـ / 757م - 909م)، وهي دولة خارجية بربرية، قامت في منطقة سجلمااسة¹ في جنوب المغرب الأقصى نسبة إلى بني مدرار²، و الدولة الرستمية (160هـ - 296هـ/776م - 909م) عاصمتها تاهرت³ على يد عبد الرحمان بن رستم بن برهم في المغرب الأوسط⁴، و دولة الأدارسة (172هـ - 375هـ/878م - 986م) في المغرب الأقصى نسبة إلى إدريس بن الحسن بن علي بن أبي طالب⁵، بغض النظر عن الإمارة الأموية في الأندلس (138هـ - 756م) و قيامها كدولة المستقلة و المنفصلة عن الدولة العباسية تماما، و حكمها عدة أمراء وكان أول حاكم بها عبد الرحمن ابن معاوية يلقب بصقر قریش⁶، وأحدثها دولة الأغالبة (184هـ - 296هـ/800م - 909م) في المغرب الأدنى إفريقية⁷.

و عاصمتها القيروان⁸ كانت دولة عربية مسلمة، و يعتبر إبراهيم بن الأغلب التميمي المؤسس الحقيقي لدولة الأغالبة بعد تعيينه من الخلافة العباسية، إذ كانت

- 1 _ سجلمااسة : تأسست (104هـ - 723م) مؤسسها الحقيقي أبو القاسم سمو بن واسول المكناسي، تقع في منطقة صحراوية جنوب المغرب في طرف بلاد السودان. ينظر: محمد عبد الله المعموري: تاريخ المغرب و الأندلس، ط1، مؤسسة عمان دار صنعاء للنشر و التوزيع، العراق، 1433هـ/2012م، ص401.
- 2 _ كمال السيد أبو مصطفى: جوانب من الحياة الاجتماعية و الاقتصادية و الدينية و العلمية في المغرب الإسلامي من خلال نوازل و فتوى المغرب الونشروسي، ب ط ، مركز الإسكندرية للكتاب، الإسكندرية، 1996م، ص95.
- 3 _ تاهرت: كان إختيار موقع تاهرت لميزة بعده عن خطر العباسيين و هي منطقة داخلية منظوية على نفسها في جبل السفح الجنوبي، لجبل جزول هو موقع إستراتيجي بحماية دولة ناشئة، اشتهرت مدينة تاهرت بالمدينة العظمى، جليلة المقدار، تسمى عراق المغرب، ينظر: اليعقوبي إسحاق بن واضح: كتاب البلدان ، تح: محمد أمين، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1422هـ/2002م، ص231، محمد عيسى الحريري: الدولة الرستمية بالمغرب الإسلامي حضارتها و علاقتها الخارجية بالمغرب و الأندلس (160م - 296هـ، ط3، دار القلم، الكويت، 1408هـ/1987م، ص98.
- 4 _ المرجع نفسه، ص103.
- 5 _ علي بن عبد الله بن أبي زرع الفاسي: الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب و تاريخ مدينة فاس، تح: عبد الوهاب بن منصور، ب ط، دار المنصورة للطباعة و الوراقة، الرباط، 1972م، ص15.
- 6 _ عبد المجيد النعناعي: تاريخ الدولة الأموية في الأندلس، التاريخ السياسي، 138هـ/316م - 755م/928م، ب ط، دار النهضة للطباعة، بيروت، 1916م، ص174.
- 7 _ إفريقية: لفظ مشتق من كلمة أفري التي كانت تطلق على إمارة من القارات الدنيا القديمة و بتحطيم قرطاجة عقب الحرب البونية الثالثة 146/149ق م، أصبح المفهوم يظهر في المصطلح الجغرافي لذا سميت بإفريقية القنصلية، ينظر: موسى لقبال: المغرب الإسلامي، ط2، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، الجزائر، 1981م، ص13، افريقية: سميت بذلك نسبة إلى فاروق بن مصرايم بن حام بن نوح عليه السلام، و قيل أنها فرقت بين مصر و المغرب الإسلامي، و هي مأخوذة من كلمة فرق و يقال لأنها فصلت بين أوروبا و جزء آسيا و البحر المتوسط ينظر أبي عباس أحمد القشغندي: الصبح الأعشى في صناعة الإنشاء، ج5، ب ط ،المطبعة الأميرية، القاهرة، 1340هـ/1922م، ص100.
- 8 _ القيروان: معرب و هو بالفارسية كازوان و هو إقليم ثالث كان بناءها في (250هـ/674م) بدأت إفريقية عهدا جديدا مع الفقيه عقبتين نافع بدافع سياسي و عسكري و إداري و ديني و امني هو أساس بناءها، ينظر: شيهاب الدين عبد الله بن عبد

تظم القطر التونسي حاليا بكامله، و جزء من الجزائر و إقليم طرابلس الغرب بما في ذلك ولاية البرقة على حدود مصر أي تمتد من طرابلس شرقا إلي بجاية غربا¹.

يرتبط قيام دولة الأغالبة في إفريقية (184هـ/800م) ارتباطا و وثيقا بما كان يسود البلاد من فوضى و اضطراب أثناء حكم الخلفاء العباسيين الأوائل من ولاتهم في المغرب²، و الواقع أن الخلافة العباسية انشغلت بمشاكلها في المشرق فكان عليها أن تواجه مطامع القواد من الفرس و الخراسانيين وغيرهم و تحارب حركات العلويين و تواجه أخطار البيزنطيين و الترك، فاكتمى أبو العباس السفاح بمبايعة عبد الرحمن بن حبس و ولاء المغرب و كان حكمه لم يتجاوز القيروان، لهذا لم يخضع المغرب كله للخلافة العباسية في ذلك الحين³، فالمغرب كان مسرحا بكر للخوارج الذين هربوا من بطش الأمويين، فغرسوا دينهم و تعاليمهم و سياساتهم، و كانت هذه الفرق من جماعات الصفرية⁴ و الإباضية⁵ حيث كان يجمعهم العداء التقليدي الذي كان بين الخلافة العباسية السنية و بين الإباضية باعتبارهم فرق من الخوارج⁶، و استمرت مشكلة الخوارج تثير مخاوف و ذعر بني العباس فكان المنصور يرسل الحملة وراء الحملة دون نتيجة، و أخيرا أسند المهمة للمهالبة و تعتبر هذه الفترة فترة رفاهية و استقرار و

الله الحموي: معجم البلدان، ج4، ب ط، دار الصادر، بيروت، 1397هـ - 1977م، ص420. ولها موقع خاص بالنسبة لعقبة بن نافع لأنه يفصله عن مركز الخلافة و القيادة العسكرية بفسطاط و هو موافق لذهنية العرب قريية من السبخة أي المجاورة للماء، ينظر، محمد علي الصلابي: الدولة الأموية عوامل الإزدهار و تداعيات الإنهيار، ج2، ب ط، دار المعرفة للنشر و التوزيع، بيروت، 2008م، ص79.

2 _ عبد العزيز الثعالبي: تاريخ شمال إفريقية من الفتح الإسلامي الى نهاية الدولة الأغالبة، تح: أحمد بن ميلاد و محمد إدريسي، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1407هـ - 1987م، ص231. و للمزيد: ينظر الملحق رقم 1، حسين مؤنس: أطلس تاريخ الإسلام، ط1، الزهراء للإعلام العربي، القاهرة، 1408هـ - 1987م، ص158

2 _ محمود إسماعيل: الأغالبة و سياستهم الخارجية، 184هـ/296هـ، ط3، عين الدراسات و البحوث الإنسانية، القاهرة، 2000م، ص11.

3 _ ابن وردان: تاريخ مملكة الأغالبة، تح: محمد زينهم محمد عزب، ط1، مكتبة مديولي، القاهرة، 1408هـ/1988م، ص24.

4 _ الصفرية: هم أتباع زياد بن الأصفر و يرجع إليه نسبهم، و سمو بذلك لسفرة وجوههم من العبادة و هم في أرائهم أقل تطرفا من غيرهم منهم الأزارقة، و من الصفرية أبو بلال مرداس و كان صالحا خرج في أيام يزيد ابن معاوية بالبصرة و لم يتعرض للناس، و إنما لا ترى إباحة دماء المسلمين و لا ترى جواز سبي النساء و الفدية، ينظر: محمد أبو زهرة: تاريخ المذاهب الإسلامية في السياسة و العقائد و تاريخ المذاهب الفقهية، ب ط، دار الفكر العربي، القاهرة، ب ت، ص72

5 _ الإباضية: أتباع عبد الله بن إيباض و هم أكثر الخوارج اعتدالا و أقربهم الى الجماعة السنة و لهم فقه جيد و فيهم علماء ممتازون و لهم حملة من الآراء أهمها، أن دماء مخالفهم حرام و تجوز شهادة مخالفهم و نكاحهم، ينظر: محمود إسماعيل: المرجع السابق، ص73.

6 _ محمد بن عذاري المراكشي: البيان المغرب في أخبار الأندلس و المغرب، تح: كولان وليفي بروفنسال، ط3؛ دار الثقافة بيروت، 1983م، ص63.

بناء¹، أقام عليها عامل عربي ولاءه هارون الرشيد هو هرثمة بن الأعين و كان من أكبر رجال الحزب العربي، دام حكمه من سنة (180هـ - 181هـ/796م - 797م)، خلال هذه الفترة ساد الهدوء و الاستقرار حيث أنه جدد الموانئ و المنشآت و أعاد الثقة للناس في الدولة العباسية لكن عندما خلع الرشيد هرثمة بين الأعين بطلب منه² وهذا ما أكده ابن خلدون في قوله: " رأى هرثة بن الأعين أنه قد قام بمهمته في إفريقيا، و أقر الأمن في البلاد و الحقيقة انه تعب و فضلة العودة إلي بغداد"³.

عندما خلع هارون الرشيد هرثمة بن الأعين من ولاية إفريقية بدأ إبراهيم بن الأغلب التميمي يتطلع إليها بشغف خاصة و أن محمد بن مقاتل العكي أساء معاملة جنده و قطع عنهم رواتبهم كما كانت بلاد زاب منزلاً لكثير من التميميين⁴ قوم إبراهيم بن الأغلب⁵ سنداً قوياً له⁶، و اختلفت المصادر حول دوافع و أسباب إسناد إفريقية لإبراهيم بن الأغلب، فمن المؤرخين منهم ابن الأثير يرى أن الرشيد هو الذي عرض على إبراهيم بن الأغلب تولي القيروان، و ذلك عندما علم بحدوث قلاقل بإفريقية و عمل بنصيحة هرثمة حيث أنه قد جاء الفتوح و رأى أن توليه لبلاد المغرب اصطناعاً لمستقبله⁷ بينما ذكر البلاذري "أنه لما استقر الأمر لمحمد بن مقاتل العكي ببلاد إفريقيا، كره أهل البلاد ذلك و حملوا إبراهيم بن الأغلب على أن يكتب للخليفة يطلب منه ولاية إفريقية فكتب إليه يطلبه بتوليته"⁸ و هذه الرواية كانت تتفق مع ما جاء به ابن خلدون " لما استوثق الأمر لمحمد بن

1 _ ابن وردان: المصدر السابق، ص29.

2 _ حسين مؤنس: معالم تاريخ المغرب و الأندلس، ب ط، طبعة خاصة تصدرها دار الرشاد ضمن مكتبة الأسرة، ب د، 2004م، ص91.

3 _ عبد الرحمن ابن خلدون: كتاب العبر و ديوان المبتدأ و الخبر في تاريخ العرب و البربر و من عصرهم من ذوي الشأن الأكبر، ج4، ب ط، دار الكتاب اللبناني و مكتبة المدرسة، بيروت، 1983م، ص249.

4 _ التميميين: يشكلون قبيلة اشتهرت كثيراً في بلاد العرب في العصر الجاهلي و بقيت أصداء عن أيامها و لهجتها، كانوا بدوا و لم يشمل تراجمهم على أي مدينة لكن بعد أن تولى العباسيين الحكم حلوا بمصر و خاصة ولاية زاب التي كانت بمثابة الوطن الثاني بالنسبة لهم . ينظر: محمد الطالبي، الدولة الأغلبية تاريخ سياسي (184هـ-296هـ/800م/909م)، مر: حمادي الساحلي، تع: المنجي لصيادي، ط1، دار الغرب الإسلامي، لبنان، 1405هـ/1985م، ص106.

5 _ إبراهيم بن الأغلب: بن سالم بن عقاد بن خفاجة بن عبد الله بن عباد بن محراث بن سعد بن خوزام بن مالك بن مزاز بن معد بن عدنان، أصول إبراهيم هم بنو تميم من مواليد القيروان من رجال الدين و السياسة، تولى قيادة إفريقية 184هـ/800م، ينظر: أبي العباس شمس الدين بن خلكان: وفيات الأعيان و أبناء أبناء الزمان، تع: حسان عباس، ج3، ب ط، دار الصادر، بيروت، 1414هـ/1994م، ص11. كانت فيه صفات لا تتوفر إلا في أكابر الرجال و مؤسسي الدولة و كان أستاذه ليث بن سعد بن يعقوب يقول عنه "لا يكون لهذا الفتى شأن" ينظر: ابن عذاري: المصدر السابق، ص93.

6 _ محمد طالبي: المرجع السابق، ص109.

7 _ أحمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني ابن أثير: الكامل في التاريخ ، تع: أبي الفداء عبد الله القاضي، ج6، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1407هـ/1987م، ص154.

8 _ أبو العباس بن يحيى البلاذري: فتوح البلدان، تع: عبد الله عمر أنيس، ب ط، دار الطباع، بيروت، 1958م، ص327.

مقاتل الذي كره أهل البلاد ولايته، و أدخلوا إبراهيم بن الأغلب في أن يطلب من الرشيد ولايته عليهم فكتب إبراهيم إلى الرشيد يطلب منه ذلك¹.

بل يرى ابن الأبار أن "إبراهيم لم يكتب الرشيد بل إن صاحب البريد يحيى بن زياد هو الذي تكفل بمهمته و عبر عن الشعور العام، الذين كانوا أشد أعداء لمقاتل العكي و طالبو بعزله و تعويضه بإبراهيم بن الأغلب"²، لكن نجد أن تولية إبراهيم بن الأغلب كانت مقابل مبلغ من المال عرضه علي هارون الرشيد وتعهد على دفعه قدره أربعين ألف دينار سنويا للخلافة العباسية جعلت هارون يرحب بتقليده ولاية إفريقية، ولا شك أن الاختلاف القائم بين المؤرخين اختلاف جوهري في طريقة أو السبب الوجيه في تولية إبراهيم بن الأغلب، بينما المؤكد أن تولية ولاية إفريقية من طرف هارون الرشيد، الذي فكر في إسناد هذه الولاية لرجل له القدرة على الحكم و الإخلاص للبيت العباسي، لأن بني العباس كانوا يدركون أهمية إفريقية³، لكن تمت تولية إبراهيم بن الأغلب مقابل الحكم عن طريق الوراثة، مع مبلغ من المال يقدمه للخلافة العباسية سنويا مع البقاء على الطاعة و الولاء⁴.

بدأ إبراهيم بن الأغلب الحكم سنة (184هـ/800م)⁵، لكن نجد بعض الاختلافات في تاريخ توليته بالضبط يذكر ابن الأثير " أنما تمت توليته في فبراير (800/184م)⁶، ويرى ابن عذارى وابن الخطيب⁷ أن توليته كانت في منتصف يوليو جمادى الثانية من سنة (184هـ /800م)، قامت بإفريقية إمارة وراثية بدأت بإبراهيم بن الأغلب، كانت دولة عربية مسلمة بأوسع معاني الكلمة رشيدة الأمر حكيمة السياسة.

1_ نسبهم:

- 1_ ابن خلدون: المصدر السابق، ص205.
- 2_ أبي عبد الله محمد بن عبد الله بن ابي بكر القضاعي ابن الأبار: الحلة السراء، تح: حسين مؤنس، ج 2، ط1، دار المعارف، القاهرة، 1985م، ص110.
- 3_ ابن خلدون: المصدر السابق، ص205
- 4_ محمد طالبي: المرجع السابق، ص19
- 5_ لسان الدين بن الخطيب: تاريخ المغرب العربي في العصر الوسيط، القسم الثالث كتاب أعمال الإعلام، تح و تع: أحمد عبادي مختار، محمد إبراهيم كناني، ب ط، دار الكتب، الدار البيضاء، 1964م، ص14.
- 6_ ابن الأثير: المصدر السابق، ص104.
- 7_ ابن عذارى: المصدر السابق، ص92، ابن الخطيب: المصدر السابق، ص15.

ينسب الأغالبة إلى الأغلب بن سالم التميمي، وهو عربي من قبيلة تميم التي أسهمت في القضاء على الخلافة الأموية وقيام الدولة العباسية، وكان الأغلب بن سالم من أصحاب أبي مسلم الخرساني، ومن أشجع رجاله¹ وقد تجسم شعار الدولة الفتية (أغ ل ب) في شخصه الذي كان من أبرز القواد عند أبي جعفر المنصور²، وهو من قبيلة تميم العربية التي سبق لنا تعريفها وحارب في ثورات الخوارج الصفرية الذين استفحل خطرهم بعد أن بايعوا أبي قرّة المغيلي بالخلافة، كما استطاع الأغلب أن يطرد ثوار الخوارج من القيروان ثم عاودوا الثأر بقيادة الحسن ابن حرة، دارت المعركة في سنة (160هـ / 777م) بين الطرفين، أصيب الأغلب بن سالم وتوفي فحزن عليه أهله وجنده ولقب بالشهيد³ وخلف الأغلب ابنه إبراهيم الذي كان في العاشرة من عمره ولد عام (140هـ / 757م) رحل إلى مصر بعد وفاة أبيه، ويرتبط نسب الأغالبة بإبراهيم ابن الأغلب المؤسس الحقيقي لدولة الأغالبة⁴.

وبهذا كان قيام الدولة الأغلبية علي يده قد حقق غرضه فإنه لم يتنكر للخلافة بل بقي وفيًا لإلزامته فخطب في المنابر لبني العباس، وانطلاقًا من سياسته في تحقيق الأمن والاستقرار في إفريقية حرص الأمير إبراهيم ابن الأغلب على تجنيد البلاد من خطر الصراعات والثورات التي كانت قد قامت عليه، نذكر منها ثورة خرشب الكندي (184هـ / 800م) الذي خرج على الأمير إبراهيم من أبناء العرب الذين استقروا في إفريقية منذ عهد بعيد، وكانوا يرون أنفسهم أحق بالولاية من أبناء بغداد الذين ترسلهم الخلافة⁵ وقد نزع السواد و ألتف حوله جموع العرب والبربر في منطقة تونس.

إن هذه الحركة ذات صبغة مذهبية لأن الثوار كانوا ينادون بالتخلي عن السواد ودعوة للأداسة، لكن تمكن قوات إبراهيم بن الأغلب من الانتصار وقتل عشرة آلاف وقائدهم خريش الكندي وقضي على أمرهم سنة (186هـ / 802م)⁶، إذن

1_ البلاذري:المصدر السابق،ص275.

2_ محمد طالبي:المرجع السابق،ص22.

3_ ابن عذاري:المصدر السابق،ص97.

4_ المصدر نفسه،ص116.

5_ ابن الأبار:المصدر السابق،ص106.

6_ فاطمة عبد القادر رضوان:مدينة القيروان في عهد الأغالبة 184هـ-296هـ،رسالة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه في التاريخ الإسلامي، قسم الدراسات العليا التاريخية،كلية الشريعة،جامعة أم القرى،المملكة العربية السعودية،1412هـ-1991م،ص37.

استطاع الأغلبية بقيادة المؤسستها توطيد حكمهم وإقرار الأمن في البلاد بالقضاء على عناصر الفتنة، و تمكن من كسب البربر حتى أصبحوا من المخلصين للدولة الجديدة¹، كان يتمتع بالثقة أوساط الفقهاء و تقديرهم و هذا لم يكن يستهان به في العصر الوسيط، أن يكون الحاكم متقرب من الفقهاء عصره حيث كان سحنون بن سعيد التتوخي من بين علماء ذلك العصر، و كان سنة 24 سنة الذي كان له دور كبير في النهضة العلمية بإفريقية بمعاصرتة أربع أمراء من دولة الأغلبية²

قضيت السنوات الأولى من تولي إبراهيم الأول الحكم بمواجهات و العقبات، و قد اعتنى عناية كبيرة بالجيش فمنحه الأعطية و كرر علامات التقدير و الاحترام إلى الضباط³ و اجتهد في استخراج المال كثير من إفريقية، حيث بلغ إيراده نحو أربعين المليون دينار في السنة كان اعتماده على قوة عسكرية من البربر المستعربة ثم الصقالبة⁴ الذين كانوا من دعائم دولته، و هكذا توفي إبراهيم بن الأغلب و الخطر لا زال يهدد دولته و لم يجد خلال اثني عشرة سنة التي قضاها متسعا لتدعيم دولته و القضاء نهائيا على الأخطار التي تواجهته،⁵ توفي في شوال سنة (196 هـ/812م)⁶ ولكن قبل وفاته عهد إلى ابنه عبد الملك عبد الله بتولي الإمارة من بعده.

حكم بعده ابنه عبد الله بن الأغلب خمسة أعوام ولم يتصف عهده بالثورات بل بالجفاف و زيادة الضرائب لم يدم حكمه طويلا توفي (201 هـ/817م)⁷، قبض على مقاليد الحكم بعده في القيروان أخوه زياد الله الأول الذي وصله من المأمون عقب توليه مقاليد الحكم الأمر بالدعاء لعبد الله بن طاهر في المنابر، ولم يرق له ذلك فأرسل إلى المأمون دنائير من سكة الأدارسة غرضها التحول بالدعوة عن

1_ ابن عذارى: المصدر السابق، ص13.

2_ أبي عبد الله الشيخ محمد الباجي مسعودي: الخلاصة النقيفة في أمراء إفريقية، تح: محمد بيرم، ط2، مطبعة بيكارو وشركائه بنهج الأنبال، تونس، 1333 هـ، ص22، محمد محمد زيتون: المسلمون في المغرب والأندلس، ب ط، مكتبة الإسكندرية، القاهرة، 1411 هـ - 1990 م، ص90.

3_ ابن الأبار: المصدر السابق، ص128.

4_ الصقالبة: هم جند من أصل أوروبي كانوا يشرون صغارا من التجار الرقيق الذين جلبوا من أوروبا ويربون تربية عربية إسلامية و يستخدمون جندا عربيا مسلما و خدما في الدولة، ينظر حسين مؤس: المرجع السابق، ص91.

5_ محمد طالبي: المرجع السابق، ص32.

6_ ابن خلدون: المصدر السابق، ص251.

7_ الرقيق القيرواني: تاريخ إفريقية والمغرب، تحقيق: محمد زينهم محمد عزب، ط1، دار الفرجاني للنشر والتوزيع، تونس، 1414 هـ - 1994 م، ص222. ابن خلدون: المصدر السابق، ص196.

العباسيين¹، وهذا ما يدل عل ضعف تأثير الدول العباسية في بغداد على السلطة في القيروان.

قامت ثورات ضده والتي كانت نتيجة سوء معاملة زياد الله للجند وسفك دمائهم، وقد كادت أن تؤدي بالدولة إلى الانهيار حتى أنه لم يبقى تحت سلطة سوى قابس وساحل ونفزاوة وطرابلس ولكن في النهاية تغلب عليهم²، كما قام الجيش خلال حكمه بالإغارة على جزيرة سردينيا في سنة (212هـ/828م)، و أرسل حملة لغزو صقلية فتمكن من فتحها والإقامة فيها وضمها إلى أملاك الأغلبة وأصبحت تابعة للقيروان، وفي سنة (223هـ/838م) توفي زياد الله بعد أن مكث في الحكم قرابة اثني وعشرين عاما.³

خلفه على الحكم أخوه الأغلب بن إبراهيم الذي قام بإصلاح الجيش والرعية واهتم بإزالة المظالم وزاد في أرزاق العمال لكي يكف أيديهم عن الرعية، وتمكن في عهده من استيلاء على حصن البلوط، والتقى أسطول الأغلب مع أسطول البيزنطي فهزمه وألجأه إلى العودة إلى القسطنطينية، كانت فترة حكمه ذات استقرار داخلي وفتح خارجي، توفي في ربيع الآخر سنة (226هـ / 829م).⁴

تولي بعده الأغلب بن إبراهيم محمد في نفس السنة التي توفي فيها أخوه، حيث ساد الأمن و السكينة في أول أيامه، و أتاه خطر من الرستميين و الأمويين لكنه لم يكن بالقدر الذي يقضي على سلطته في القيروان و قد حاول أخوه احمد بن الأغلب أن يستقل بإمارة لكنه تمكن منه و نفاه إلى المشرق، و تمكن من القضاء عليهم بقيادة جيشه، كما واصل فتح صقلية إلى أن أدركته الوفاة

(242 هـ/845م⁵) و هو الأمير الذي ولي الفقيه سحنون بن سعد التتوخي مقاليد الحكم في القضاء و أعطاه العهود و الموائيق المغلظة إلى أن توفي الفقيه في فترة حكمه، و هنا تنتهي الفترة المدروسة من حكم الأغلبة الذين عاصرهم الفقيه.

1 المصدر نفسه، ص198.

2 _ الثعالبي: المصدر السابق، ص213.

3 _ ابن الأثير: المصدر السابق، ص102، ابن عذاري: المصدر السابق، ص92.

4 _ ابن الأثير: المصدر السابق، ص108

5 _ الباجي مسعودي: المصدر السابق، ص29.

2_ الحياة الاقتصادية والتجاري:

تعتبر فترة الأغلبية من أمد فترات إفريقية¹، و التي عاش سحنون 70 سنة من عمره في ظلها فقد دامت أكثر من قرن ساد أثناءها الاستقرار السياسي، وهذا ما انعكس على الجانب الاقتصادي²، الذي أدى إلي التطور في كافة المجالات منها ضرب النفوذ في كل من العباسية والرقادة كما كانوا يقومون بإدابة المعادن وسبكها، وعمليات الوزن والنقش والطبع بعدما كان مقرها في القيروان أيام الأمويين³.

ويرجع تطور الحياة الاقتصادية في إفريقية بقيام دولة الأغلبية بسبب وضع البلاد الجغرافي الذي استفادوا منه، وأصبحت القيروان من أهم وأشهر المراكز التجارية في غرب البحر المتوسط منها سوس وقفصة وغيرهم، كما اشتهرت الرقادة بالأسواق والفنادق والقصور⁴، كما اعتنى الأغلبية ببناء الصهاريج المياه وجبابها، والصهرج عبارة عن خزان فوق الأرض، أما الجب⁵ فيكون إلا في باطنها وأكثرها من بناء المواحل والماجل⁶، واهتموا بالزراعة وتربية المواشي ولاسيما الغنم وتصدير القمح والشعير إلى الإسكندرية وغيرها من المراكز، أما في جانب الصناعة كان اهتمامهم كبير في صناعة السفن الحربية وصنع آلات الحرب، وأهم الصناعات صناعة المنسوجات الصوفية والسجاد العربي الذي يسمى بالزربية وصناعة الأبواب والنوافذ من الخشب، وصناعة الصدفيات والحاجيات خاصة من سن الفيل وصناعة الزجاج والبلور ومنها تتخذ الأواني

1 _ حسن مؤنس: المرجع السابق، ص95.

2 _ ابن عذاري: المصدر السابق، ص89..

3 _ ابن عبيد الله البكري: المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب جزء من المسالك والممالك، ب ط، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، ب ت، ص21

4 _ البكري: المصدر السابق، ص27.

5 _ المواحل: مخزن واسع يتمثل من حجرة واسعة قد يصل قطرها إلى 40متر وعمقها نحو 20 متر ثم يبنون عند الماء حجرة أو قبوا واسعا بالحجر أو الطوب الأحمر المغشى الذي لا تؤثر فيه المياه. ينظر: ابن عذاري: المصدر السابق، ج1، ص118.

6 _ الماجل: وهي عبارة عن أحواض واسعة وعميقة تشبه الساقية، يجتمع فيها ماء المطر وهي دائما مكشوفة وقد يقام في وسط الماجل. دوسق يجلس فيه الأمير للراحة ومواجل في القيروان وسوسة وتونس تعتبر من آثار حملة ينظر: اليعقوبي: البلدان، المصدر السابق، ص347، ياقوت الحموي: المصدر السابق، ص326. ويصفها الإدريسي: الماجل الكبير بالقيروان بأنه من عجيب البناء لأنه بني على الترع وفي وسطه بناء قائم كصومعة وفرع كل وجه منه مائة ودرع مملوء به ماء. ينظر: أبو عبد الله محمد ابن عبد الله ابن إدريس الشريف الإدريسي: نزهة المشتاق في اختراق الأفاق، تح: إسماعيل العربي مجلد1، ديوان المطبوعات الجامعية، بيروت، 1983م، ص121.

والتحف¹، وكان للأمرء مصنع خاص بهم يسمى دار الطراز تصنع فيه الأقمصة الملوكية ذات الزينات الحجرية المحلاة بالخط الكوفي².

ينتج عن الثروة الزراعية والصناعية التي كانت في إفريقية نشاط التجاري الواسع الداخلي والخارجي كما ساعده في ذلك إستقرار الأمن وتسهيل سبل المواصلات أن يساعد على التقدم الاقتصادي.

وكان اهتمام الأغلبية بالجانب التجاري اهتمام كبير ونتج عن ذلك إقليم القيروان الذي تحمل إليه المنتجات الصناعية وأصبح سوقا كبيرا ومقرا للتجارة وأكثرها تجارا وأموالا وأحسنها منازل وأسواقا³ وكان فيها من ديوان جميع المغرب وإليها تجني أموالها وبها دار سلطانها⁴، حيث كانت مقصد التجار من داخل الإقليم وخارجه، وكانت الأسواق خاصة بالصيارفة والجوهريين والغزل والسراجين والزهادرة⁵ وسوق اليهود وغيرهم من الأسواق، وكانت أيضا تجارة الزيت رائجة توزع إلى مصر وصقاية كما كان لها علاقة مع السودان الغربي(المالي) في التجارة الذهب⁶ وبناء الجوامع التي تعتبر من أجمل الآثار المعمارية الإسلامية في إفريقية وبناء الأسوار والأبراج في المدن الساحلية وخاصة القصر القديم الذي بناه إبراهيم بن الأغلب وقصر الرقادة الذي بناه زياد الله⁷.

3_ الحياة الفكرية والثقافية:

رغم الثورات والحروب الداخلية التي امتلأ بها تاريخ الأغلبية، لكنها لم تكن تمس الحياة العامة للبلاد بنهما كان رجال السياسة يتطاحنون في الحرب، كانت

- 1 _ محمد محمد زيتون: القيروان ودورها في الحضارة الإسلامي، ط1، دار المنار للنشر والتوزيع ، القاهرة، 1408هـ/1988م، ص155.
- 2 _ المرجع نفسه، ص159.
- 3 _ ابن قاسم النصيبي ابن حوقول: صورة الأرض، ب ط ، دار المكتبة الحياة للطباعة و النشر بيروت ، لبنان، 1996م ، ص94.
- 4 _ البكري: المصدر السابق، ص32.
- 5 _ سوق الزهادرة: سوق المسافرين من أجل التجار أي التجار الأجانب ينظر: المصدر نفسه، ص34
- 6 _ المصدر نفسه، ص21.
- 7 _ يعقوبي: المصدر السابق، ص347.

جماعات السكان ماضية في طريقها إلا في الحالات التي تمس حياتهم طبعاً متأثرة بالحروب وظروف القلق وعدم الاستقرار¹.

بدأت الحياة الفكرية في عصر الأغلبية الأول بالعلوم الدينية وعلى قمتها تعليم القرآن الكريم والحديث والفقه والتفسير، التي قدم بها الصحابة والرسول عليه الصلاة والسلام وشمل الحياة الفكرية ازدهارا لتشمل معظم العلوم التي كانت أنداك، حتى أنهم كانوا يرحلون إلى المشرق لتزويدهم بالعلم ويرجعون لتدريس علومهم حتى أصبحت القيروان مركزاً علمياً محضاً²، وتبين أن أمراء بني الأغلب قد اهتموا بالعلوم وشجعوا وناصروا الحركة العلمية، حتى أصبحت إفريقية في العموم من أرقى المستويات الفكرية في العالم الإسلامي خاصة بالقيروان.

كانت فئة العلماء في دولة الأغلبية لاسيما الفقهاء منهم العصب الثاني في الحياة الاجتماعية والسياسية وقد استمدوا سلطانهم من الدين أولاً ومن الرعاية ثانياً، حيث كان ينظر لهم الرعاية نظرة إجلال وتقدير، وكانوا قوة لا تضاهي بها مع مر الزمن و نواة هذه العلماء الفقهاء الذين أرسلهم عمر بن عبد العزيز تلك الركيزة في إنشاء مجتمع إسلامي مليء بالعلماء³.

وقد أدى العلماء والفقهاء دورهم الديني والتربوي في المساجد والزوايات، و لهم تأثير كبير جداً على عامة الناس، و أدرك ذلك الخارجين عن السلطة الأغلبية، و يبدو ذلك في ثورة عمران بن مجالد على الأمير إبراهيم بن الأغلب سنة (194هـ/810م) حيث طلب عمران من الأسد بن فرات الفقيه أن يسانده في ثورته ضد الأمير، رفض أسد لأنه أدرك أن الثورة في غير حق⁴، و ساهموا في عملية النضج الديني حيث كثرت في هذه الفترة وبشكل كبير حلقات العلم في المساجد ولم تكن قاصرة على الدراسات الشرعية والعقائدية بل في شتى العلوم، وكانت عملية التدريس في المساجد مهمة يتضطلع بها العلماء دون أجر⁵، و لهم سمات خاصة بهم خلال الفترة المدروسة بالإضافة إلى لزوم، طائفة من أهل العلم الثغور والمرابطة فيها لحراسة البلاد من غارات البيزنطية وغيرهم، كما كان لهم

1 _ محمد زيتون: المرجع السابق، ص141.

2 _ حسين مؤنس: المرجع السابق، ص110-111.

3 _ فاطمة عبد القادر رضوان: المرجع السابق، ص128.

4 _ المرجع نفسه، ص130.

5 _ محمد زيتون: المرجع السابق، ص170.

وزن عند الأمراء الأغلبية، وهذا ما يقوله: إبراهيم بن الأغلب عن محمد ابن طالب الذي قال عنه "إنه يخاف الله ولا يخافني"¹، حيث كان لهؤلاء الشيوخ دور كبير في التدريس، و حلقات الدرس يؤمها صبيان في المساجد، ثم الشبان يلبسون زيا خاصا لأهل العلم والدراسة، وفي هذه الحلقات يقوم شيوخ لهم مقام كبير في العالم الإسلامي كله من أمثال ذلك: أسد بن فرات وعيسى ابن مسكين سحنون بن سعيد التنوخي وأمثالهم من يمثلون مستوى فكريا ودينيا بمراقبتهم و إرشادهم².

ويرجع الفضل للتطور العلمي في شجيع الأمراء للعلماء وحلقات العلم في تقديمهم للمناظرات في قصورهم، للوصول إلى وجه الصواب فيذكر أبي العرب:"أن عبد الله بن حسان قال دخلت على زياد الله بن إبراهيم بن الأغلب فأصبت عنده الأسد بن الفرات وأباه محرز وهما يتناظران في مسألة نبذ المسكر، وأبو محرز يذهب إلى تحليله وأسد يذهب إلى تحريمه ولما قعدت قال زياد بن عبد الله ما تقول يا أبي محمد فقد علمت رأي وضييفيك يتناظران فقال ناظرني أنت ودعك منهم"³.

وكان علماء يرحلون في عهد الأغلبية إلى مصر والشام والعراق والحجاز، وغيرها لتحصيل العلوم خاصة الفقهية، ومنها تبحر الكثير من العلماء في الفقه والحديث، وقد مال الكثير منهم إلى مذهب الإمام مالك وأخذ البعض بمذهب أبي حنيفة النعمان، و هم المذهبيين السائدين في إفريقية خلال الحكم الأغلبي،⁴ وهذا لا يمنع وجود مذاهب أخرى بينما يذكر القاضي عياض "إفريقية وما وراؤها من المغرب كان غالب عليها في القديم مذهب الكوفيين، يعني مذهب أبي حنيفة النعمان إلى أن دخل على بن زياد وابن الأشرس وبهلول بن رشاد وبعدهم أسد بن فرات وغيرهم بمذهب الإمام مالك وأخذ به الكثير من الناس، ولم يزل يفسحوا إلى أن جاء سحنون فشاع في تلك الأقطار"⁵.

نجد أن سحنون ابن سعيد التنوخي بدأ نشاطه العلمي بإفريقية في أيام زياد الله الأول، لأنه ولد قبل قيام الدولة وبداية العصر الأغلبي بنحو ربع قرن، وكان

1 _ محمد اسما عيل عبد الرزاق:المرجع السابق،ص68.

2 _ حسين مؤنس:المرجع السابق،ص110.

3 _ محمد ابن محمد بن تميم أبي العرب:طبقات علماء إفريقية، ب ط، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ب ت، ص158.

4 _ المصدر نفسه،ص160.

5 _ أبو الفضل القاضي عياض موسى اليعصبي:ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك، صححه وضبطه:محمد سالم هاشم، ج1، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1418هـ/1998م، ص378.

المجتمع الأغلبي يأخذ هيئة مع قيام هذه الدولة في إفريقية سنة 184هـ/800م من استقرار وتعليم، حيث كان يتولون العلماء في عصرهم مناصب هامة مثل القضاء وكان سحنون واحدا من هؤلاء، ولكن مواهبه جعلته من الشخصيات الكبيرة في عصره وكان له شأن ودين ومركز اجتماعي¹.

1_ ابن الخطيب: المصدر السابق، ص11، أبي العرب: المصدر السابق، ص160.

أولاً: مولده ونسبه وصفاته:

1 — مولده:

ولد أبو سعيد سحنون¹ بن سعيد بن حبيب بن حسان بن هلال بن بكار بن ربيعة التتوخي رضي الله عنه² في سنة ستين ومئة (160هـ - 777م) في رجب، قال عيسى بن مسكين "ولد سحنون بقرية يقال لها مزنانة الشرق اسمه عبد السلام وغلب عليه اسم سحنون"³.

قال القاضي عياض: "سمعت بعض المشايخ أهل الحديث، يذكر عن بعض شيوخ إفريقية أنه سمي بسحنون بالطائر حديد النظر لحدته في المسائل ولشدة ذكائه في الدرس والتحصيل"⁴.

2- — نسبه:

كان نسبه من صليبية العرب من تتوخ و أصله من الشام من حمص، قال أبو العرب: "سمعت محمد بن أبان وقد قيل له: أكان سحنون من العرب صليبية أو من الموالي، فقال: إن سحنون قد أخذ الناس عنه دينه، وصدقوه وائتمنوا عليه وقد قال ابنه محمد من عرب فكيف لا يصدقونه في نسبه"⁵.

كانت قبيلة تتوخ من عرب الشام وأصلها من اليمن⁶، وقد دخلت تتوخ في الإسلام بعد الفتوحات العربية لبلاد الشام وكان للتتوخيين دور بارز في هذه الفتوحات، إذ قدم أبوه إلى إفريقية مع جند الفاتح و كان من أهل العلم.⁷

وهذا ما أكده محمد ابن سحنون¹ في قوله: "قلت يا أبتى نحن قبيلة من تتوخ؟ فقال لي ومن يحتاج إلى ذلك؟ ولم أزل به حتى قال لي نعم وما يغني عن ذلك من الله

1 _ بفتح السين المهملة وضمان السكون. الحاء المهملة وضم النون وبعد الواو، نون ثانية وفي فتح السين وضمها وكلام من جهة العربية يطول شرحه ينظر: ابن خلكان: المصدر السابق، ص182.

2 _ أبي العرب: المصدر السابق، ص103.

3 _ أبو زيد عبد الرحمن محمد الأنصاري الأسيدي الدباغ: معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان، تح: ابراهيم شيوخ، ط2، مكتبة الخانعي، مصر، 1388هـ-1968م ص77.

4 _ المصدر نفسه، ص79.

5 _ أبي العرب: المصدر السابق، ص101، محمد بن محمد مخلوف: شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، دار الكتاب العربي، بيروت، 1949م، ص69.

3 _ الدباغ: المصدر السابق، ص78.

7 _ حسين بن محمد شواط: مدرسة الحديث في القيروان، ج2، ط1، دار العالمية للكتاب الاسلامي، الرياض، 1411هـ-1991م، ص180.

الفصل الأول

نشأة

سعيد بن سحنون التنوخي

شيئا إن لم تتفه²، وذكر المهدي أنه قدم رجل من أهل الشام على سحنون، فقال له: "رأيت أهل بلدك بالشام في حلقات العلم، أن العلماء يؤخذ بأنوفهم، فنهره سحنون وقال له أسكت، أتحاضر العلماء بهذا في مجالسكم"³.

وقد ذكر أبو العرب: أن له أخ يقال له حبيب سمع الفقه من ابن الأصم وابن فروخ⁴ وكان ثقة صالحا روي عنه أخوه⁵

3- صفاته:

لقد اجتمعت في الفقيه صفات أخلاقية وخلقية كانت من أهم أسباب التي أدت إلى رغبة طلاب العلم لسماعه و الأخذ عنه وهذا ما يصفه لنا أبو العرب انه كان سحنون ربع القامة بين البياض والسمره، حسن لحية، كثير الشعر، أعين بعيدا ما بين المتكسين، كثير الصمت قليل الكلام، يتكلم بالحكمة مهيبا جدا، يأخذ من شاربه على المشط، حسن اللباس، وكان به فتق في جوفه كانت لسحنون قلنسوة طويلة ربما لبسها وسحاجا وربما حمله في يده"⁶قال سليمان ابن أسلم: "رأيت لسحنون باحا كحिला وساحا أزرق ورداء وقلنسوة حبره وقلنسوة زرقاء وشيا وقلنسوة تشبه وشاة الأغلب، فإذا أقعد للسمع لبس رداء، وإذا شهد الجمعة لبس الساح وقلنسوة، وإذا حضر جنازة لبس الأزرق وهذا كان أكثر فعله إذ بينه أبو العرب انه كان عويص الطوق نحو الأصبحين⁷.

أخذ سحنون بمذهب أهل المدينة في كل شيء حتى العيش، كان يحبذ أن يكون عيش الرجل إلا على قدر كسب يده ولا يتكلف أكثر مما في يده، و متعيفا إذا

1 محمد بن سحنون: هو أبو عبد الله بن أبي سعيد بن سحنون، واسمه عبد السلام-بن سعيد بن حبيب التنوخي، مولده بالقيروان سنة 202هـ-818م. فقيه إفريقية نشأ بين يدي أبيه بن سعيد التنوخي قال عنه أبو العرب التميمي القيرواني كان إماما في الفقه شقه عالما بالآثار لم تين في عصره أجرت بفنون العلم منهفيما علمنا" توفي سنة 256هـ-870م. ينظر محمد بن سحنون: كتاب أداب المعلمين، تح: حسن حسني عبد الرحمن ،ب طء، دار الكتب الشرقية، تونس، 1393هـ-1972م ص15.

2_ الدباغ: المصدر السابق، ص 792

3_ القاضي عياض: المصدر السابق، ص 339.

4_ عبد الله بن فروخ: الفارسي الفقيه القيروان، كان اسمه بالأندلس عبدوس، ثم رحل بن فروخ إلى إفريقية فسكن القيروان كان يكنى أبو محمد ولده 115هـ/734م كان يكتب الإمام مالك في المسائل ويجيبه مالك رضي الله عنه توفي بمصر إثر عودته من الحج 175هـ/792م. ينظر: أبو العرب: المصدر السابق، ص 101.

5_ القاضي عياض: المصدر السابق، ص 339.

6_ أبو العرب: المصدر السابق، ص 1046

7_ أبو العرب: المصدر السابق، ص 102.

الفصل الأول

نشأة

سعيد بن سحنون التنوخي

احتاج امرأة طالبها على قدر ذاته ، و بقناعتها حتى يبقي بيده ما استغنى به، فإن كان له مال حلال، اعتمد عليه وتفرغ للعبادة وإن لم يكن عنده فعليه بكسب يده و هو يري أنه إن كان مستعينا عن الزوجة فتركها أحب¹، كما أن الفقيه كان يجلس في البادية لكسب قوته مثلما كان يهتم لأمر العلم وهذا ما ذكره عبد الجبار بن خالد: "كنا نسمع من سحنون جالسا بمنزله بالساحل، فخرج علينا يوما على كتفه المحراث وبين يديه الزوج، فقال لنا إن الغلام اتي البارحة فإذا أفرغت أسمعتم فقلت له أنا أذهب وأحرق وأنت تسمع أصحابنا، فإذا جئت قرأت عليك فأتيني ففعل فلما رجعت، قرب إلى غذائه خبز وشعير وزيتا وزيتون"² قال عيسى بن مسكين: "كان سحنون صمته لله وكلامه لله، وإذا أعجبه الكلام صمت وإذا أعجبه الصمت تكلم ما عمل قط إلا لله ولا تكلم بشيء إلا لله ولذلك كظم حضره"³.

ثانيا: بداية تكوينه العلمي:

تلقى أبو سعيد عبد السلام بن سحنون علومه الأولى في الكتاتيب، شأنه شأن غيره من الصبيان في ذلك الحين، كما أقبل على طلب العلم في سن مبكرة

1_ المصدر نفسه، ص 1031

2_ الدباغ : المصدر السابق، ص 832

3_ القاضي عياض: المصدر السابق، ص 343.

الفصل الأول

نشأة

سعيد بن سحنون التنوخي

، وسرعان ما نبع فيه ، حيث توسم فيه شيوخه النجابة والإخلاص¹ لطب العلم كما سمع الفقه² والحديث³ من بهلول بن راشد توفي (183 هـ/800م)⁴ الجامع بين الفقه والحديث و الأسد ابن الفرات (213 هـ/732م) وابن غانم توفي (190 هـ/806م) وغيرهم من شيوخ القيروان، ثم رحل إلى تونس عدة مرات وذلك بعد تفرس بهلول بن راشد المحدث والزاهد في سحنون الحرص على طلب العلم و معرفة أصول المذهب مالكي⁵ فرحل إلى علي بن الزيات⁶.

فكتب إلى علي بن الزيات كتاباً يوصيه فيه على سحنون جاء فيه "أني إنما أكتب إليك في رجل يطلب العلم لله عز وجل"⁷ وكان هذا الكتاب من فقيه القيروان البهلول بن راشد⁸.

قال المالكي: " قال بهلول بن راشد لي سحنون أين نزلت فأخبره فقال له خذ على بن الزيات الموطأ⁹ فأتى به سحنون ليسمعه في موضعه الذي نزل به قال له علي بن

1_ أبي بكر عبد الله بن محمد المالكي :رياض النفوس في طبقات علماء القيروان وإفريقية وزهادهم ونسائهم وسير أخبارهم وفصائلهم وأوصافهم، تح: بشير البكوسس ومحمد العروسي المطوي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1414هـ/1994م، ص349

2_ الفقه: هو العلم بالشيء والفهم له ويقال فقه الشيء أي فهمه. ينظر: احمد بن مكرم ابن منظور، لسان العرب مجلد 2، ط1، تق: الشيخ عبد الله العلايلي، دار الإحياء التراث العربي، بيروت، ص119. اصطلاح: العلم بالدين والتبحر فيه واستنباط أحكامه الشرعية من المصادر الشرعية الفقهية. ينظر أنور الرفاعي: الإسلام في حضارته ونظمه، ط2، دار الفكر، دمشق، 1992م، ص81. كما أنه معرفة أحكام الله تعالى من أفعال المكلفين بالوجود والخطر والندب وهي مشتقة من الكتاب والسنة. ينظر: عبد الرحمان ابن خلدون: المقدمة، ب ط، لمؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر 1984، ص234

3_ الحديث: لغة: هو الخبر و المحادثة الدينية، اصطلاحاً: هو كل ما أثر عن النبي صل الله عليه وسلم من قول أو فعل أو تقرير. ينظر: أبو الحسن العامري: الأعلام بمنابغ الإسلام، تح: احمد عبد الحميد غراب، ب ط، دارا لكتاب العربي للطباعة ونشر، القاهرة، 1967، ص35

4_ المالكي: المصدر السابق، ص349.

5_ المصدر نفسه، ص353.

6_ علي بن الزيات: هو أبو الحسن علي بن الزيات، الفقيه مالكي من أهل تونس، رحل إلى مالك بالمدينة وسمع منه الموطأ وتفقه عليه ثم عاد إلى تونس ونشر مذهبه وأخذ عنه علماء ذلك العصر، توفي 183هـ/800م بتونس، ينظر: القاضي عياض: تراجم أغلبية مستخرج من ترتيب المدارك للقاضي عياض، تح: محمد طالبي، ب ط، المطبعة الرسمية للجمهورية التونسية، تونس، 1968م، ص31. قال عنه ابن القاسم أهل مصر وإفريقية شنون عليه بالفضل والدين. ينظر محمد ابن محمد مخلوف: المرجع السابق، ص69.

7_ الدباغ: المصدر السابق، ص817

8_ أبو عمر البهلول بن راشد الحجري الرباعي بالولاء، من العلماء الزهاد ومن أهل القيروان له كتاب في الفقه على المذهب المالكي وقيل أن أصحابه دونوا الكتاب عنه وكان ثقة مجتهداً توفي 183هـ/780م بتونس ينظر الدباغ: المصدر

السابق، ج1، ص264، القاضي عياض: المصدر السابق، ج1، ص87

9_ الموطأ: يعد الموطأ من أشهر الكتب مصنفة في المائة الثانية ومن أوائل الكتب المدونة في الحديث وهو كتاب الحديث وأثر فقهي يذكر الإمام فيه في الغالب أحاديث الباب والحكم يرد فيها بالموافقة أهل المدينة ومخالفه، وينقل رأي فقهاء

الفصل الأول

نشأة

سعيد بن سحنون التنوحي

الزياد إن أخي يعنى بهلول بن راشد كتب إلي يعلمني أنك إنما تطلب العلم لله عز وجل".¹

كما سمع بتونس الحديث من عبد الملك ابن أبي كريمة وأخذ الفقه عن أبي مسعود ابن أشرس التونسي صاحب الإمام مالك بن أنس، وبعد أن تلقي سحنون عن أكثر من اثني عشر شخصاً من كبار علماء إفريقية فكر بالإرتحال إلى المشرق بإشارة من معلمه علي بن زياد، بالذهاب إلى المدينة إلى إمام دار الهجرة ومعل الفقهاء والعلماء².

ثالثاً: رحلته لطلب العلم:

تعتبر الرحلة ضرورية لطلب العلم ومن العلماء من إعتبرها واجبة في حق الطالب لإكتساب المعارف وتصحيحها حيث استمد الفقيه سحنون التنوحي، نظرته لطلب العلم من خلال الدين الإسلامي، الذي يدعو إلى العلم حيث دعى الله إلى طلب العلم والبحث والاستسقاء منه في قوله تعالى "اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ (1) خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ (2)"³ وقال أيضاً "وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا"⁴، ولم يقتصر على هذا فحسب بل استمر في تحصيل العلم والسعي إليه من الأنبياء والصحابة والتابعين "هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَى أَنْ تُعَلِّمَنِي مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا"⁵

كانت هذه التوجيهات والتشريعات من القرآن الكريم وسنة الرسول صلى الله عليه وسلم فقد سلكها الفقيه سحنون بن سعيد في رحلته في طلب العلم، وكان من عادة أهل إفريقية والمغرب أن يرحلوا إلى المشرق ليأخذوا علوم الشريعة⁶، فمنهم عبد الرحمان بن زياد ابن أنعم المعافري الذي تلقى العلم عن جماعة من التابعين،

والصحابة والأئمة التابعين. ينظر: الطاهر الأزهر الحذيري: مدخل موطأ مالك ابن أنس، ط1، مكتبة الشؤون الفقهية، الكويت، 1429هـ/2008م، ص9. قال مالك بن أنس "عرضت كتابي هذا على تسعين فقيها من فقهاء المدينة فكلهم وطأ لي فسميته الموطأ. ينظر: أبي عمر يوسف بن عبد الله ابن عبد البر الأندلسي: الاستذكار، الجامع المذهب الفقهاء والأمصار وعلماء الأقطار فيها يتضمن موطأ من معاني الرأي و الآثار وشرح ذلك كله بإجاز و اختصار، تح: عبد المعطي أمين القلعجي، مجلد 1، ط1، دار الفتيبة للطباعة والنشر، بيروت، 1414هـ/1993م، ص81

1_ المالكي: المصدر السابق، ص384

2_ الدباغ: المصدر السابق، ج2، ص80.

3_ سورة العلق، الآية 1-2.

4_ سورة طه، الآية 114.

5_ سورة الكهف، الآية 66.

6_ أحمد مختار عبادي: تاريخ المغرب والأندلس، ب ط، مؤسسة شباب الجامعة، إسكندرية، ب ت، ص78

الفصل الأول

نشأة

سعيد بن سحنون التنوخي

وكان رفيقه في درس الخليفة أبو جعفر المنصور وعاد عبد الرحمان ابن زياد إلى القيروان بعلم غرير يعلمه لأهله¹.

اختلف المؤرخون حول التاريخ الذي رحل فيه سحنون إلى المشرق، فقيل أنه ذهب إلى المشرق عام (178هـ - 795م) أي أنه كان يبلغ من العمر 18 سنة قال ابنه محمد: خرج إلى مصر أول سنة ثمانية وستين ومائة في حياة مالك، ومات مالك وسحنون ابن ثمانية عشر أو تسعة عشر و خلال هذه الفترة كانت رحلته إلى ابن زياد بتونس².

رحل سحنون في طلب العلم أول سنة ثمان وثمانين ومائة، و كان اعتماد سحنون في التزود بالفقه المالكي وتصحيح الأسدية على يد عبد الرحمن بن القاسم³ العالم والزاهد الذي لم يكاد يفارقه في سماع العلم والفقه المالكي، غير أن سحنون لم يدرك مالك في قوله: "كنت عند ابن قاسم وجوابات مالك ترد عليه فقيل لي ما يمنعك من السماع منه فقال: قلة الدراهم، فقال مرة الله الفقر فلولاه لأدركت مالكا"⁴.

لقد كان له رحلتان فإنه سمع سنة ثامن وثمانين ومئة من ابن القاسم كما سمع من ابن نافع⁵ بينما أشار بعض الفقهاء ومن ألف عن سيرة سحنون منهم أبو عثمان سعيد ابن الحداد قال: "سمعت سحنون ابن سعيد يقول، كنت إذا

1_ صلاح الدين خليل بن أبيك الصفدي: الوافي بالوفيات، تحقيق: أحمد الأرناؤوط وتزكي مصطفى، ج18، ط1، دار الإحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، 1420هـ-2000م، ص558

2_ أبي العرب: المصدر السابق، ص185

3_ أبو عبد الله عبد الرحمان بن قاسم العنقي المصري الشيخ الصالح الحافظ، الحجة الفقيهي، أثبت الناس في مالك وأعلمهم بأقوالهم ومنه تفقه سنة

(123هـ 741م) -ومات بمصر سنة (191هـ - 807م) ينظر: محمد ابن محمد مخلوف: المرجع السابق، ص59.

4_ أبو بكر عبد الله المالكي: المصدر السابق، ص383.

5_ عبد الله بن نافع: هو عبد الله بن نافع ابن أبي الصائغ المخزومي هو أبو محمد، روي عن مالك عالم المدينة بعده قال ابن سعد كان قد لازم مالكا لزوما شديدا. ينظر: أبو بكر عبد الله المالكي: المصدر السابق، ص385

الفصل الأول

نشأة

سعيد بن سحنون التنوخي

سألت ابن قاسم عن المسائل يقول لي: يا سحنون أنت فارغ، إني لأحس في رأسي ذوي كذوي الرحي"1.

كان الخلاف قائما في بعض المسائل بين سحنون و بهلول بن راشد فبسطها وأكد له أن الصواب معه²، قال ابن القاسم: " اتقوا الله، فإن قليل الأمر مع تقوى الله عز وجل كثير وكثير مع غير تقوى الله قليل"³ ولما فرغ من قراءة العلم عند ابن القاسم وغيره من أصحاب مالك في مصر، خرج إلى الحجاز فحدث أبو سهل فرات ابن محمد العبيدي: قال له، سمعت سحنون يقول "لما حججنا كنت أزامل ابن وهب وكنت في الشق الأيمن، و الأشهب يزامله بتيمة⁴ وكان ابن قاسم يزامل ابنه موسى وأبو هارون"⁵.

وقال سحنون: "كنت إذا نزلت ذهبت إلى ابن القاسم أسأله من الكتب وأقرأه عليها إلى أن قرب وقت الرحيل"⁶.

كانت سفرته علمية طويلة استفاد فيها سحنون من هؤلاء العلماء، فقد كانوا يلقون العلم ويتحاورون فيه وهم على دوابهم، فإذا جاء الليل قرنوا أقدامهم للصلاة، إلا أن طريقهم في إلقاء المسائل تختلف عن حلقات الدرس إذ كانوا يلقون المسائل في النهار وهم يمشون وهذا ما ذكره ابن وهب لأصحابه: "أما ترون إلى هذا المغربي يلقي المسائل بالنهار وهو لا يدرس بالليل؟، فيقول له ابن القاسم: هو نور يجعله الله في القلوب"⁷ وقال سحنون: مرضت بمكة، فكنت ربما جلست عند ابن قاسم وربما جلست عند أشهب وابن وهب، وربما جلست يوما مع ابن وهب، فقلت له أشرب من هذا الماء؟ وكان الماء حينئذ بمكة في الطائف بحر السواري يصب فيه الماء ويملئ ليشرب منه الناس، فأصابني عطش يوما فقلت له اشرب، فقال لا فقلت له أليس لي في فيئ المسلمين سهم؟ فرد عليه ليس هذا أفيء للمسلمين، إنما

1 _ أبي العرب: المصدر السابق، ص389

2 _ الدباغ: المصدر السابق، ص80

_ المصدر نفسه، ص833

4 _ يعني من يتولى تربيته ينظر: أبو بكر عبد الله المالكي،:لمصدر السابق، ص348.

5 _ المصدر نفسه، ص350.

_ ابن عبد البر: المصدر السابق، ص866

7 _ أبو بكر عبد الله المالكي: المصدر السابق، ص348.

الفصل الأول

نشأة

سعيد بن سحنون التنوخي

هذا الماء مما يأخذونه من الصدقات الأعراب فمنه هذا الماء بمكة وسمع سحنون بالمدينة المنورة من جماعة من المحدثين والفقهاء منهم أنس ابن عياض الليثي، والمغيرة ابن عبد الرحمن ابن أبي ربيعة، و في مكة من أخير المحدثين كسفيان ابن عيينة ومن الشام من محدثيها: الوليد ابن مسلم وغيره وقد جمع سحنون علما عظيما استقصى فيما جميع آثار مالك وكبار الرواة¹.

لقد جمع سحنون في رحلته علما عظيما واستسقى فيها آثار مالك، وكبار الرواة حتى قال لابنه محمد عندما أراد أن يرحل إلى المشرق "إنك تقدم طرابلس وكان فيها رجال مديون ومصر بها رواة والمدينة هي جحش مالك ثم تقدم إلى مكة فاجتهد جهده، فإن قدمت علي بلفظة خرجت من دماغ مالك ليس عندك شيخك أصلها، فاعلم أن شيخك كان مفرطاً"² واعتمادا على ما ورد من أحاديث رحلته فله رحلتان الأولى إلى المشرق (178هـ/979م) لم يري مالك ودرس على من تيسر له من شيوخ المشرق، ثم العودة إلى إفريقية أما الرحلة الثانية (188هـ/804م) ليستزيد من شيوخ المغرب ثم العودة إلى إفريقية.

كان ابن قاسم شديد الإعجاب بسحنون بن سعيد، حيث أن سحنون رفض البقاء و استقرار بمصر كمعلم وحرص كل الحرص على العودة إلى إفريقية، وكان ابن القاسم قد طلب وألح على بن رشيدة صديق سحنون وأقرب الناس إليه أن يقنع سحنون بالبقاء بمصر "قل لصاحبك سحنون أبعد فالعلم أولى من الجهل وأكثر ثوابا" لكنه فشل في ذلك³.

رابعا:- شيوخه وتلاميذه:

1- شيوخه:

- 1 _ حسين بن محمد شواط: المرجع السابق، ص572.
- 2 _ القاضي عياض: المصدر السابق، ص421.
- 3 _ محمد زنيهم محمد عرب: المرجع السابق، ص60.

الفصل الأول

نشأة

سعيد بن سحنون التنوخي

لقد تعدد شيوخ سحنون، و كان أكثر شيوخه من أهل الحديث، وقد سمع من شيوخ الأفارقة الذين كانوا اثنا عشر رجلا تسعة منهم من أهل القيروان وثلاثة من أهل تونس أما القرويين هم:

أسد ابن الفرات. وفي (213هـ/829م)، البهلول بن راشد توفي (183هـ/800م)، عبد الله بن أبي حسان، توفي (226هـ/876م)، بالإضافة المحدث الفقيه اللغوي من الرواة مالك شقران بن علي توفي سنة (176هـ/793م)¹، ومعاوية بن الفضل الصهاجي، توفي (199هـ/815م) وهو من ثقات و محدثي القيروان وحرص سحنون علي طلب العلم من كبار العلماء منهم عبد الله بن همر بن غانم، توفي (190هـ/806م) محدث الفقيه روي الموطأ عن مالك في القيروان².

وأبو عبد الله بن فروخ الفارسي فقيه القيروان الإمام المحدث الثقة الأمين الجامع بين العلم والقيام بالحق، رحل للمشرق وسمع أعلاما كزكريا، وكان اعتماده في الفقه والحديث على مالك ثم رجع إلى القيروان وكان من بين شيوخ سحنون بن سعيد التنوخي، و إبراهيم بن زقة الرعيني ، توفي (234هـ/828م) وهو أندلسي نزل القيروان وعده أبو العرب من ثقات شيوخها، وأخوه حبيب بن سحنون وقد لحق عبد الرحمن بن الزيادة وسمع منه.

أما أهل تونس: علي بن الزيادة توفي (183هـ/800م) وهو محدث فقيه وكان أول من أدخل موطأ مالك إلى إفريقية وأبو مسعود ابن أشرس و أبو عبد الملك بن أبي كريمة توفي (210هـ - 825م) وهو المحدث والعايد³.

وبن الجراح توفي (196هـ/812م) أحد الحفاظ الثقان، وكان عابدا، مطرف بن عبد الله اليساري (45هـ/835م) المحدث الفقيه الثقة، ومصن بن عيسى الفزار توفي (198هـ/814م) من أصحاب مالك، ونستنتج أن سحنون في المشرق، سمع من ثلاثة وعشرين شيخا⁴.

1 _ محمد بن محمد مخلوف: المرجع السابق، ص83.

2 _ حسين بن محمد شواط: المرجع السابق، ص158 157 2

3 _ محمد بن محمد مخلوف: المرجع السابق، ص69.

4 _ القاضي عياض: المصدر السابق، ص88.

الفصل الأول

نشأة

سعيد بن سحنون التنوخي

كما تقدم منهم واحد وعشرون من رجال السنة، وأكثرهم من كبار المحدثين الحفاظ التقات الذين أتقنوا رواية الحديث وعلم الرجال وكان لذلك أبعاد أثر في شخصية سحنون وتكوينه، فإن أكثر شيوخه القرويين من المحدثين في الحديث، ولذلك ذكر أبو العرب التميمي توفي (999هـ/ 945م) نجده عندما ذكر شيوخه فصل بين ما لقيهم في الفقه، ومن لقيهم في الحديث لقد تعددت مرويات سحنون في الحديث في القيروان، وسمع الموطأ بأربعة روايات، رواية ابن زيد، ورواية ابن قاسم ورواية ابن وهب، ورواية ابن غالم¹.

كان سحنون يعول في ضبط الكتابة أكثر ضبطا حيث كان يقول: "من صحت كتبه صحت روايته ومن سقم كتابه سقمت روايته"²، بعد ما تجرع سحنون بن سعيد التنوخي العلم بإفريقية ومن شيوخها الذين سبق لنا ذكرهم فكر في الرحلة.

أما شيوخه خارج المغرب الإسلامي في مصر والمدينة المنورة والتي فيها عاش وعمل ألقى دروسه الإمام مالك بن أنس³، فهو بمثابة صدر النور الساطح الذي أضاء قلوب المسلمين في أرجاء

العالم الإسلامي⁴، وبهذا يعرف باسم إمام دار الهجرة⁵، وكان من معلمي سحنون بالمدينة عبد الملك بن عبد العزيز بن عبد الله ابن أبي سليمان الماجشون⁶، كان أكفأ وأبرع تلاميذ الإمام مالك بن أنس و معن بن عيسى بن يحيى بن دينار القرزاز المدني، و هو من قرأ الموطأ على هارون الرشيد و معه الأمين والمأمون وخلف

1 _ أبي العرب: المصدر السابق، صص 104، 105.

2 _ أبو بكر عبد الله المالكي: المصدر السابق، 382.

3 _ مالك بن أنس: هو مالك بن أنس بن أبي عامر بن عمر الأصحى وذي أصبح قبيلة يمينية عربي الأصل. ولد مالك رحمه الله سنة 93هـ/ 712م سمع حديث من شيوخ المدينة أشهرهم ابن شهاب الزهري وله مؤلفات أشهرها الموطأ ينظر: الشريف محمد بن علوي المالكي الحسين: مالك ابن أنس رضي الله عنه، ط2، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1431هـ/ 2010م ص4، إمام دار الهجرة وشيخ المدينة وعالم أهل الحجاز، ينظر، مصطفى الشكعة: إسلام بلا مذاهب، طبعة مزيدة ومنفعة، الدار المصرية اللبنانية، لبنان، 1997م، ص427، ابن خلفون الأندلسي أسماء شيوخ الإمام مالك بن أنس، تح وتع: محمد زينهم محمد عزب، ب ط، مكتبة الثقافة الدينية بور سعيد، القاهرة، ب ت، ص19.

4 _ أحمد المختار عبادي: المرجع السابق، ص120.

5 _ جلال الدين السيوطي: تزين المالك بمناقب الإمام مالك، تح: هشام بن محمد حيدر الحسني، ط1، دار الرشاد والحديث دار البيضاء، المغرب، 1431هـ/ 2010م، ص8.

6 _ الماجشون: كلمة فارسية بمعنى أحمر الوجه وقيل الوارد، ولكنها موقع بخرسان نسب إليه، كان فقيها ومفتى من علماء المدينة ينظر: القاضي عياض: المصدر السابق، صص 320-321.

الفصل الأول

نشأة

سعيد بن سحنون التنوخي

مالك في الفقه¹ قال معن بن مالك "كان مالك لا يجيب أحدا من العراقيين حتى أكون أنا الذي أسأله عنه، سمع من مالك بن أنس أربعين مسألة سمعها منه سحنون وأضاف بعضها في مدونته الكبرى مات سنة (198هـ / 814م) بالمدينة².

ونتحدث عن أول شخصية فقهية كان لها دور كبير في حياة سحنون الفقهية والعلمية وهي شخصية عبد الرحمن بن القاسم ابن خالد بن جنادة العتقي، يكنى بأبي عبد الله قال عنه النسائي ثقة رجل صالح صيحات الله ما أحسن حديثه عن مالك لازمه مدة تتراوح ما بين 25 عاما نقل كل ما روى عنه من حديث وتفسير وقال ابن يحيى الليثي "كان ابن قاسم أعلم علماء مالك وأمنهم"³ بعد رحلته إلى مصر هناك اتصل بابن القاسم الذي منحه كل ما عنده من فقه وعلم وأقرأ عليه المدونة وهي من أمهات الكتب⁴.

أما الشخصية الثانية في حياة سحنون و تكوينه العلمي والفقهي هي شخصية عبد الله بن وهب بن سلم القرصي مولاه زيد بن ريحانة الذي تتلمذ على يد مالك بن أنس والليثان سعد، الذي اعترف له الإمام أحمد بن حنبل أن ابن وهب عالم صالح فقيه كثير الحديث صحيح الحديث ثقة، الصدوق الفضل السماع إلى العرض الحديث من الحديث ما أصلح حديثه تتلمذ على يده سحنون بن سعيد كان ابن وهب قد قسم وقته ثلاثا ثلاثا في الرباط وثلاثا فيما سيعلم الناس في مصر وثلاثا في الجمع.

بينما الشخصية الثالثة أشهب بن عبد العزيز بن إبراهيم بن كنيئة أبو عمر القصي المعارفي الجعدي وهو من أهل مصر⁵ سمع منه عدد كبير من الفقهاء والعلماء منهم الحارث بن المسكين⁶ وسحنون وأسد ابن الفرات وغيرهم وقد حكى

1 _ الدباغ: المصدر السابق، ص347.

2 _ محمد زينهم محمد عزب: الإمام سحنون، تق: حسين مؤنس، ب ط، دار الفرجاني، القاهرة، 1992م، ص 844.

3 _ القاضي عياض: تراجم الأغبيبة، المصدر السابق، ص22.

4 _ محمد زينهم محمد عزب: المرجع السابق، ص89.

5 _ الدباغ: المصدر السابق، ص99.

6 _ الحارث المسكين محمد بن يوسف الأموي وكنيته أبو عمر المصري، قاضي مصر ثقة في الحديث حبسه المأمون إذا لم يجب إلى قوله بخلف القرآن ولد سنة 154هـ - 771م مات 250هـ - 864م ينظر: محمد زينهم محمد عزب: المرجع السابق، ص93.

الفصل الأول

نشأة

سعيد بن سحنون التنوخي

سحنون عنه قال "قال لي ابن القاسم إن كنت مبتغيا هذا العلم فابتغه عند الأشهب"¹.

سأل سحنون ابن قاسم أيهما أفقه قال: "كان فارس رهان ربما وفق هذا وخذل هذا وربما خذل هذا ووفق هذا" وهذا ما يدل على تأثر الإمام سحنون بشخصية أشهب فأخذ منه الورع والزهد وأصول المذهب المالكي²، وسمع من أصغى ابن الفرخ ابن سعد ابن نافع الفقيه، رحل إلى مدينة و سمع من الإمام مالك ثم دخل إلى مصر يوم ممات مالك ، فأخذ منه ابن القاسم وابن وهب والأشهب³، وأخذ عنه عبد الله ابن الحكم ابن أعين مولى عمير المرأة من المولى عثمان بن عفان رضي الله عنه سمع وتفقه من مالك وليث ابن سعد كانا عبد الحكم محققا بالمذهب مالك فقيها صدوقا عاقلا وكان من نوي الأموال درس منه سحنون أكثر مؤلفاته وكان له دور كبير في تكوين وثقل سحنون بالفقه المالكي.

2- تلاميذه:

لقد تخرج على يد سحنون أفواج عظيمة من العلماء، زادوا على سبعمائة رجل من الرواة، بل ذكر الذهبي "أن عدد الرواة عن سحنون بلغ تسعمائة⁴ من العباد وغيرهم، فيحدثون بالآلاف ما وراء الأخذ بعد النبي صلى الله عليه وسلم في أصحابه، ما بوراء سحنون في أصحابه فإنهم كانوا على كل بلد أئمة، وقد دخل القيروان رجل من أصحاب الإمام أحمد بن حنبل تلقى بمجموعة كبيرة من أصحاب سحنون فرأهم في بداية الليل أقبلوا على قراءة القرآن و يتناظروا في العلم، ثم قاموا إلى التهجد، فقال: "من أصحاب من هؤلاء ومن معلمهم العلم؟ والله ما رأيت أحدا قط أنبل من هؤلاء. والله ولا يصحب هؤلاء رجلا إلا نبلوه وشرفوه، فقليل له هؤلاء أصحاب سحنون"⁵ فقد كثر تلاميذه وسرت بسببه وسببهم

1 _ القاضي عياض:المصدر السابق،ص447.

2 _ المالكي:المصدر السابق،ص68.

3 _ ابن خالكان،المصدر السابق،ج1،ص417.

4-ابراهيم بن نور الدين ابن فرحون:الديباج المذهب في معرفة أعيان المذهب مالك،تح: مأمون بن محي الدين

الجنان،ط1، دار الكتب العلمية بيروت ، 1417هـ-1996م،ص164.

5 _ شهاب الدين أحمد بن محمد المقرئ اتمساني: أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض،تح: مصطفى السقاو ابراهيم

الأيباري وعبد الحفيظ الشلبي،ج3،ب ط ،مطبعة لجنة التأليف وترجمة،القاهرة،1361هـ - 1942م،ص25.

الفصل الأول

نشأة

سعيد بن سحنون التنوخي

روح جديدة في أنحاء إفريقية والمغرب والأندلس، وبهم شاع وتحق علم أهل المدينة أو زادت رواية الحديث انتشارا ومعظم جيل القرن الثالث أغلبه تتلمذ على يد ابن سحنون منهم:

عيسى ابن مسكين، توفي (295هـ / 908م) وهو محدث من تقة، قال فيه ابن الحارث حوصفه أصحاب سحنون "ابن مسكين أرواهم للفقهاء والحديث"¹، وبكر بن حماد النهرتي نزيل القيروان توفي (296هـ / 909م) وهو من علماء الحديث والرجال، ومحمد بن سحنون توفي (256هـ / 870م) وهو من كبار العلماء بالفقهاء والحديث وورث الإمامة عن أبيه، ومحمد بن وضاح القرطبي، توفي (287هـ / 899م) المحدث الفقيه، وابن المخد الأندلسي توفي سنة (276هـ / 890م) صاحب المسند و به وابن وضاح صارت الأندلس دار للفقهاء والحديث من كتاب الموطأ لمالك بن أنس²

— ثناء العلماء عليه:

أمام الدور الكبير الذي لعبه سحنون كان يتميز بمكان عالية وسط العلماء وذلك لحرصه الشديد على السنة، ونشر المذهب المالكي ونظرا لعلو مكانته لم يمنع العلماء من الثناء عليه

قال أبو العرب "اجتمعت فيه خلال قلما اجتمعت في غيره الفقه البارع الورع الصادق والصرامة في الحق والزهاد في الدنيا والتخشن في الملابس والمطعم والسماحة، وكان ربما وصل وإخوانه بالثلاثين دينارا، وكان لا يقبل أخذ شيئا، سلطان أو غيره ولم يكن يهاب سلطان في شيء يقوله، سلم الصدر للمؤمنين، شديد على أهل البدع وانتشرت إمامته أهل عصره وأجمعوا كلهم على فضله رحمه الله"³.

1_ حسين بن محمد شواط: المرجع السابق، ص 1411

2_ أبي العباس أحمد بن محمد: ذرة الجال في أسماء الرجال، تح: محمد الأحمد أنور، ط1، المكتبة العتيقة، تونس، 1391 هـ 1977م ص 107.

3_ أبي العرب: المصدر السابق، ص 103

الفصل الأول

نشأة

سعيد بن سحنون التنوخي

عندما درس سحنون بن سعيد الفقه في بداية حياته على يد كبار المشايخ وعلماء إفريقية تنبؤوا له بمستقبل باهر خاصة الفقيه علي بن الزيات، غير انه كان رقيق القلب غزير الدمعة، ظاهر الخشوع، متواضع، قليل التصنع، كريم الأخلاق، حسن الأدب سليم الصدر للمؤمنين، شديد على أهل البدع لا يخاف في الله لومة لائم، انتشرت حمامته في المشرق والمغرب، وسلم له الإمامة أهل عصره واجتمعوا كلهم على فضله وتقدمه في طلب الفقه المالكي¹ حيث ذكر الفقيه عيسى بن مسكين عن أستاذه: "لم يكن بين مالك وسحنون أفة من سحنون و سحنون راهب هذه الأمة"² وقال أبو حسن الفاسي: "إني لا أجد في نفسي من خلاف سحنون لمالك ما لا أجده من خلاف ابن قاسم لمالك"³. مما لا شك فيه أن الرحلة ساهمت بشكل كبير في علو مكانة سحنون في نفس عبد الرحمن بن قاسم وذلك بفضل حرصه على طلب العلم مما أجبر ابن القاسم على الطلب منه البقاء في مصر وأن العلم أولي من الجهاد وأكثر ثوابا، وعن ابن قاسم لابن الرشد "قل لصاحبك يعني سحنون يقعد، فالعلم أولى من الجهاد، وأكثر ثوابا ويعطي هذا الخيل التي قدم بما لمن هو في مثل حاله، فما قدم علينا من إفريقية بمثل سحنون وابن غانم.^{4 5}

وقال عمر بن يزيد: "أول ما تعلمت مسائل الصلاة من سحنون وإن قلت إن سحنون أفة من أصحاب مالك كلهم لصدق هو سيد أهل المغرب"⁶، كان سحنون يروي تسعة وعشرون سماعا وما رأيت في الفقه مثل سحنون في المشرق كما كانت إفريقية قبل رحلة سحنون قد عمرت بمذهب مالك لأنه رحل منها أكثر من ثلاثين رجل كلهم لقي مالك ابن أنس وكانت الفتيا والفقه في القليل منهم، كما أن ذلك في علماء سائر البلاد، ثم قدم سحنون بذلك المذهب وجمع فضل الدين

1 _ المالكي: المصدر السابق، ج1 ص381

2 _ المصدر نفسه، ج1، ص384.

3 _ الدباغ، المصدر السابق: ج2 ص84.

4 _ الدباغ: لمصدر السابق، ص82.

5 _ عبد الله غانم: هو عبد الله بن عمر شرجبلى الرعييني، الفقيه القاضي من سكان إفريقية دخل الشام والعراق لطلب العلم ولاء الرشد قضاء إفريقية سنة 171هـ - 788م توفي سنة 190هـ - 806م. ينظر القاضي عياض: المصدر السابق، ج1، ص179، ينظر: خير الدين الزركلي: أعلام قاموس التراجم لأثر الرجال و النساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، ج4، ط5، دار العلم للملايين، بيروت، ص109.

_ القاضي عياض: تراجم أغلبية، المصدر السابق، ص94 956

الفصل الأول

نشأة

سعيد بن سحنون التنوخي

والعقل والورع والعفاف فبارك الله تعالى فيه للمسلمين فمالت إليه الوجوه أحبته القلوب وسار زمانه كأنه مبتدأ الفقه¹

وقال الفاسي: "ما من شيء على مخالفة مالك وسحنون، ولا أقدر على مخالفتها وأهاب ذلك هبة عظيمة، وسألت المتكلمين فما رأيت فيهم أصح غزيرة من سحنون، وكان فقيها مهاب"²

ب — وفاته

تعتبر وفاة سحنون بمثابة انتهاء للمدرسة المالكية في القيروان حيث اختلف المؤرخون في وصف حالة التي كانت تمر بها أفريقية على وفاة عالمها

توفي في رجب سنة أربعين ومائتين سنة (240هـ / 854م) قال أبي العرب "يوم الأحد قبل منتصف النهار"، ودفن من يومه، ووجه إليه محمد بن الأغلب، بكفن وحنوط فاحتال محمد ابنه حتى كفنه في غيره، وتصدق به³.

وقد استعفى رجال الأغلب من الصلاة عليه، وقالوا: قد علمت ما بيننا وبينه، وأنه يكفرنا ونكفره، والآن أكثرهم كانوا معتزلة وإنما خرجنا طاعة لك وكان سنه يوم مات ثمانون سنة⁴. قال أبو بكر المالكي: "لما مات سحنون رجت القيروان بموته، وحزن له الناس"⁵، وصف سليمان بن سالم حالة المشايخ ليلة وفاته في قوله: "لقد رأيت يوم مات سحنون مشايخ من أهل الأندلس يبكون ويضربون صدورهم، كالنساء ويقولون يا أبا سعيد ليتنا تزودنا منك نظرة نرجع بها إلى بلدنا"⁶.

قال عيسى بن مسكين: "رأينا في المنام كان سحنون يبني الكعبة، فعدوت عليه فوجدته يقرأ للناس كتاب مختصر المناسك له، قال عبد الله بن الخشاب الأندلسي، وكان شقة رأيت في المنام النبي صلى الله عليه وسلم يمشي في الطريق وأبو بكر

1 _ الدباغ: المصدر السابق، ص 83.

2 _ أبو العرب: المصدر السابق، ص 103.

3 _ الدباغ: المصدر السابق، ص 92.

4 _ القاضي عياض: المصدر السابق، ص 362.

5 _ المالكي: المصدر السابق، ص 383.

_ المالكي: المصدر السابق، ص 3846

الفصل الأول

نشأة

سعيد بن سحنون التنوخي

خلفه وعمر خلف أبي بكر، ومالك خلف عمر، وسحنون خلف مالك¹. يا أبا سعيد الناس يقولون إنك دعوت الله عز وجل أن لا يبلغك أربعة وثامنين" فقال ما فعلت ولكن الناس يقولون وما أرى أجلي إلا فيما²

قال ابن أبي سليمان: رأيت في شأن سحنون، قبل موته رؤيا قصصتها على معبر يقال له ابن عياض، فقال هذا رجل يموت على السنة، ورثاه عبد الملك الهذلي ورثاه أيضا عبد الملك ابن فطرة بقصيدة أولها:

مَنْ يَصْبِرُ الْبَرْقُ فَوْقَ الْأُفُقِ قَدْ لَمَعَا *** لَمَّا شَرَبِلْ ثَوْبُ اللَّيْلِ

وَأَدْرَى

وَلَعَلَّ عُمْرِي بِأَرْضِ الْغَرْبِ قَاطِبَةً *** مَيِّتٌ لَهُ الْبَدْرُ وَالْحَضَارُ قَدْ خَشِيَا

لِللَّهِ أَنْتَ إِذَا هَابَ فَاصِلًا _____ ؕ *** مِنْ الْقَضَاءِ يَكِيلُ

الْعَبْدُ فَارْتَدَعَا

هُنَاكَ بَرَزْتَ يَا سَحْنُونَ مُنْفَرِدًا *** كَسَابِقِ الْخَيْلِ لَمَّا بَانَ فَاثْقَطَعَا³

1 _ الدباغ:المصدر السابق،ص102.

_المصدر نفسه،ص1042

3 _ القاضي عياض:المصدر السابق،ص363.

لقد أبدع أهل المغرب في إنشاء القصور خاصة الأغلبية الذين أكثروا من بناءها والقصور جمع قصر، وقصر المنستير¹ على الساحل الشرقي لتونس، وكان الهدف من بناءها هو نصرته لأهل السنة، قال ابن سليمان: "خرج سحنون وابن رشد وابن الصمادي إلى المنستير ومعهم ابن نعيم قال نظرت إلى سحنون تسيل دموعه على لحيته ثم سكن"²

كما كان من أمراء أفريقية في عهد الأغلبية يقربون إليهم العلماء ويشاورونهم في أمور الرعية وذلك يدل على اهتمام الأمراء بالعلم والعلماء فإن ذلك، يؤكد أن العلماء هم أمناء الأمة والدين على ما فيه خيرها وعزها³، وأول مركز ديني بني في إفريقية أو في المغرب الإسلامي مسجد عقبة بن نافع، وقد أسس قبله محراب ضد الجامع الذي سارت على اتجاهه محاريب المساجد الأخرى⁴، كما أنهم أنشأوا المدارس الجامعة أطلقوا عليها دور الحكمة واستقدموا لها العلماء والفقهاء ورجال الدعوة والدين من الشرق، بإضافة إلى الرباطات والكتاتيب بنيت المدارس فقد تنام دورها في العصر الأغلبي وأصبحت خصائص خاصة بها منها المدرسة الفقهية القيروانية، الذي قاد نهضتها وأقام بها القواعد الفقهية سحنون بن سعيد التتوخي⁵، حتى غدت مركزا للحضارة الإسلامية في المغرب وأصبحت كعبة يقصدها طلاب العلم والعلماء من الشرق والغرب على حد سواء، كما أنه لم يقتصر العلم على المراكز السياسية الهامة مثل القيروان بل نجد تونس⁶ في فترة من زمن الرسالة مركزا من المراكز الثقافية والعلمية، فقد استوطنت عدد كبير من العلماء.

- 1 _ المنستير: يعتبر محرصا و رباطا مقدسا ووضعت في شأنه العديد من الأحاديث النبوية و التسمية اقتبسها العرب من التعريف البيزنطي الذي كان شاعرا في المغرب والشرق. ينظر ناجي جلول: الرباطات البحرية بأفريقية في العصر الوسيط، ط، المطبعة الرسمية للجمهورية التونسية، 1999م، ص110، حسن مؤنس: المرجع السابق، ص87.
- 2 _ القاضي عياض: المصدر السابق، ص358.
- 3 _ على بن محمد بن سعيد الزهراني: الحياة العلمية في صقلية الإسلامية (212هـ-84هـ/282م-1091م)، رسالة دكتوراه، القسم الدراسات العليا التاريخية التشريعية والدراسات الإسلامية، جامعة أم القرى، بمكة المكرمة، 1418هـ/1996م، ص20.
- 4 _ خليفة عالم وبن جامعة زاهية: المدرسة المالكية في المغرب الإسلامي وتصديها للمذاهب والفرق المناوئة لما بين القرنين (2هـ-4هـ/08م-10م)، شهادة الليسانس في التاريخ، قسم العلوم الإنسانية، جامعة ابن خلدون، تيارت، 2012-2013، ص12.
- 5 _ يوسف أحمد حوالة: الحياة العلمية في إفريقية "المغرب الأدنى" منذ إتمام الفتح حتى منتصف القرن الخامس هجري، رسالة لنيل شهادة دكتوراه في التاريخ الإسلامي، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، 1405هـ - 1985ص174.
- 6 _ تونس: تبعد عن القيروان بأربعة مراحل أي 158 ميل. ينظر: ابن محمد ابن القاسم الرعيني القيرواني ابن دينار: المؤنس في أخبار إفريقية وتونس، تح و تع: محمد شمام، ط3، مطبعة الدولة التونسية بحاضرتها المحمية، تونس، 1286هـ، ص13.

1- الفرق والمذاهب الإسلامية:

أصبح المغرب الإسلامي في نهاية القرن الأول وبداية القرن الثاني هجري ميدانا لتوافد التيارات الفكرية، ومن أهمها المذاهب الفقهية الأربعة:

أ- المذهب السني: هو مذهب عامة المسلمين، وهو ما كان عليه الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه في المعتقد والسلوك، الظاهرين على سواهم بالحجة والبرهان ولا يقدمون على النصوص الكتاب والسنة¹، عقل ولا قياس ولا يخلو زمان إلا وقائم منهم بالحجة² لقول الله تعالى "قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ يَتَّقُوا اللَّهَ يَغْفِرَ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ وَإِنْ تَعَوُّدُوا فَقَدْ مَضَتْ سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ"³

ب - المذهب الحنفي: ينتسب إلى أبي حنيفة النعمان⁴ ثابت ابن الزوطي الفارسي عبد الله بن فروخ أبو محمد الفاسي. في القرن الثاني هجري والثامن ميلادي⁵.

ج - المذهب المالكي: هو ثاني المذاهب الأربعة دخولا إلى إفريقيا، ينتسب إلى الإمام مالك بن أنس (93هـ-179هـ/178م-792م)⁶ الذي سبق لنا تعريفه وقد تميز مذهبه بخصائص ميزته عن غيره من المذاهب الأخرى، إتباع أهل السنة والجماعة في عقيدتهم وانقسام في العقيدة يعني الإنقسام في الأمة، والمذهب المالكي يتفق مع غيره من أهل السنة في الأصول ولكنه يختلف معهم في الفروع⁷ وهو ما يعتبر المذهب المرجح من أهل المغرب واختصاصهم به وتصميمهم عليه، كونه مذهب الصحابة والتابعين⁸

1 _ السنة: الطريقة والسيرة، سواء كانت محمودة أم مذمومة وقد ورد ذكرها في القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف ينظر: مناع عنان القطان: تاريخ التشريع الإسلامي التشريع والفقهاء، ط2، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، 1418-1996، ص71.

2 _ المرجع نفسه، ص74.

3 _ سورة الأنفال، الآية 38.

4 _ أبو حنيفة هو نعمان بن ثابت بن المرزبان، من أبناء فارس الأحرار، أصله من كابل ولد بالكوفة سنة (80هـ-699م) كان أول من اتجه إليه من العلوم علم الأصول الدين ومناقشة أهل الإلحاد والظلال، كان فقيها وحفظ الحديث وكتبه، ينظر: وهبة سليمان العارفي: أبو حنيفة النعمان إمام الأئمة الفقهاء، ط5، دار القلم للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، 1413هـ-1993م، ص47، أبي الوفاء القريشي الحنفي: المصدر السابق، ص55.

5 _ تقي الدين أحمد المقرئ: المواظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار الخطط المقرئ، تح: محمد زينهم ومديحة الشرفاوي، ج2، ط1، مكتبة المدبولي، القاهرة 1997، ص333.

6 _ ابن خلفون الأندلسي: المصدر السابق، ص19، محمد أبو زهرة: المرجع السابق، ص363، الشريف محمد بن العلوي: المرجع السابق، ص15.

7 _ عمر سليمان الأشقر: المدخل إلى المدارس والذاهب الفقهية، ط2، دار النفائس، الأردن، 1998، ص45.

8 _ شمس الدين محمد بن محمد الراعي الأندلسي: انتصار الفقير سالك لترجيح مذهب الإمام مالك، تح: محمد أبو الأجفان، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1981، ص130.

د — المذهب الشافعي: ينسب إلى الإمام محمد بن إدريس الشافعي (150هـ-204هـ/767م-854م) فظهر في المغرب الإسلامي منافس المذهبين المالكي والحنفي في المغرب والأندلس وأصبح يدرس في قرطبة¹.

هـ — المذهب الحنبلي: ينسب إلى الإمام أحمد بن حنبل (164هـ-241هـ/780م-829م) ظهر ببغداد في أول الأمر، أما في المغرب الإسلامي فظهوره كان خفيفاً على يد بعض المقلدين، ولم يكن له دور على المستوى العلمي².

انتشرت هذه المذاهب في كل الأمصار وكانت كل منطقة تأخذ بالمذهب الذي يتناسب مع طبيعتها وبيئتها وأوضاعها السياسية، وكان للمدرسة المالكية عدة صدمات مع بعض منها خاصة الفرق الكلامية أهمها المعتزلة.

2 — جهوده في نشر المذهب المالكي:

كانت إفريقية قبل رحلة سحنون غمرها مذهب مالك ابن أنس، لأنه رحل منها أكثر من ثلاثين رجلاً كلهم لقي مالكا وسمع منه، إنما الفقه و الفتيا فكان، في القليل منهم كما كان ذلك في علماء البلاد، ثم قدم سحنون بذلك المذهب فاجتمع له مع فضل العلم والدين والعقل والورع والعفاف والانقباض، وبارك الله فيه للمسلمين، فمالت إليه الوجوه وأحبته القلوب وصار زمانه كأنه مبتدأ قد محي ما قبله³.

فقد حاول خلال رحلته أن يستقصي بمذهب مالك في كل البلاد الذي ازدهر بها، ومن كل علمائها الذين التقى بهم وأن يجمع كل المسائل التي أخذت عنهم، وقد

1 _ لسان الدين بن الخطيب السلماي: أعمال الأعلام في من بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام، تح، وتغ: ليفي بروقنسال، ط2، دار المكشوف، بيروت، 1956م، ص145.

2 _ أحمد تيمور باشا: نظرة تاريخية في حدوث المذاهب الأربعة (الحنفي، المالكي، الشافعي، الحنبلي) وانتشارها عند جمهور المسلمين، نقد: محمد أبو زهرة، ط1، دار القادري، بيروت، 1411هـ/1990م، ص53، محمد أبو زهرة: المرجع السابق، ص269.

3 - القاضي عياض: تراجم أغلبية، المصدر السابق، ص91.

خرج من رحلته بكتاب المدونة الذي تزعم به المذهب المالكي من بلاد المغرب الإسلامي¹.

فالإمام سحنون هو الذي حمل لواء المذهب المالكي بإفريقية، بعد أن أخذه من أعلام مشهورين أمثال علي بن الزيات والبهلول بن راشد ، وابن القاسم والأشهب وابن وهب المصريين وغيرهم من تلاميذة مالك ابن أنس رضي الله عنه، عاد سحنون إلى القيروان من رحلته العلمية ليظهر علم أهل المدينة بالمغرب فيظهر على غيره من المذاهب الموجودة وخاصة منها المذهب الحنفي الذي تعدد أتباعه في إفريقية²، غير أن المذهب المالكي عرف هم كذلك طريقه إلى نفوس المغاربة وانتهت الرئاسة إليه في العلم بالمغرب وعلى قوله المعول به وكتابه الموطأ ، بالإضافة إلى كتاب المدونة وعليه يعتمد أهل القيروان ومنه انتشر علم مالك في المغرب³، قال ابن الحارث: عن دوره في نشر المذهب المالكي في قوله "سحنون إمام الناس في علم مالك، وكان فاضلا عادلا مباركا أظهر السنة وأخمد البدعة وتقف علوم القضاء بعقله وعلمه"⁴.

بفضله تحولت إفريقية إلى مركز هام لنشر المذهب المالكي بالغرب الإسلامي ، وذكر القاضي عياض وابن خلكان وابن فرحون أن المذهب المالكي انتشر بفضل سحنون بالمغرب⁵.

وذكر الشيرازي في قوله: "إلى جانب العلم والفقه، عرف سحنون بالورع الصادق والزهادة في الدنيا وانتهت إليه الرئاسة في العلم بالمغرب، وعلى قوله المعول به وصف في المدونة، وعليها يعتمد أهل القيروان، وحصل له ما لم يحصل لأحد من أصحاب مالك وعنه انتشر علم مالك في المغرب"⁶.

وقد تمكن سحنون من نشر هذا المذهب بفضل وسائل مختلفة، نذكر منها شخصيته وتعاطيه مهنة التدريس في القيروان فقد كان يسمع طلبته موطأ مالك خاصة من رواية ابن قاسم، وجوامع ابن وهب إلى جانب مدونة التي تمثل محاولة

1 -محمد زيتون:المرجع السابق،ص183.

2 - هند شلبي:القراءات بإفريقية من الفتح إلى منتصف القرن الخامس هجري،د ط،دار العربية للكتاب،ب د،1983،ص 228-230.

3 -القاضي عياض:المرجع السابق،ص93

4 - عبد الحميد محمد بن الحارث بن أسد الخشني القيرواني الأندلسي:قضاة قرطبة وعلماء إفريقية،ب ط،دار الكتاب اللبناني،لبنان،ب ت ،ص88.

5 -القاضي عياض:المصدر السابق،ص79، ابن خلكان:المصدر السابق،ص182، ابن فرحون:المصدر السابق،ص62.

6 -أبو إسحاق الشيرازي:طبقات الفقهاء،تحقيق إحسان عباس،ب ط،دار الرائد العربي ،بغداد،1970 م،ص157.

تصحيحية للمذهب المالكي، كما كان سحنون يزين للناس لإتباع هذا المذهب¹، إن المنحى السلوكي لدى سحنون كانت له مساهمة كبيرة، في نشر المذهب المالكي بالغرب الإسلامي إضافة إلى إقامته في القيروان، وكذلك بقبوله وظيفة القضاء سنة (234 هـ/849م) ومن هنا تمكن نشر المذهب المالكي بصفة شبه رسمية²، ومهما يكن فإن سحنون جعل إفريقية تنضم رسمياً ونهائياً إلى مذهب أهل السنة أي المذهب المالكي، إذ وجه ضربة عنيفة إلى الفرق المبتدعة خاصة المعتزلة والخوارج كما ساهم مساهمة فعالة في إتمام نشره³ فهو ناشر المذهب المالكي في إفريقية ومدون مسأله⁴.

وكان سحنون من الفقهاء البارزين الذين لعبوا دوراً هاماً في إثراء الحركة الفقهية والفكرية والثقافية في عصر الأغلبية فكان له منزلة كبيرة وسط الأمراء والعلماء والمشايخ وعامة الناس.

حيث قال عنه ابن الوضاح: "كان سحنون يروي تسعة وعشرين سماعاً، وما رأيت في الفقه مثل سحنون..."⁵

لقد عمل سحنون كما وصفه أبي العرب على تعليم أهل المغرب المذهب المالكي وتلقينهم المدونة فحارب أهل البدع والضلالة وغرس جذوره عميقة في وجدان أهل المغرب⁶، ولقد تحقق له ما طمح من أجله واستطاع أن يجعل إفريقية مالكية المذهب بلا منازع وعمل تلاميذه بعده بإخلاص على نشر مذهب المالكية في ربوع بلاد المغرب وتوغلوا بها بعيداً عبر الصحراء إلى إفريقيا التي تدين بعضها المذهب المالكي⁷.

1 - نجم الدين الهنتاتي: المذهب المالكي بالغرب الإسلامي إلى منتصف القرن الخامس هجري-الحادي عشر ميلادي، دط، منشورات دار الزمان، تونس، 2004، ص45.

2 - ابن سعيد المغربي: المغرب في حلي المغرب، تح وتغ، شوقي الضيف، ج2، ط1، دار المعارف، مصر، 2009، ص164، نجم الدين الهنتاتي: المرجع السابق، ص48.

3- محي الدين صفي الدين: دخول المذهب المالكي الي الأندلس وعوامل إنتشاره فيها، كان التاريخية مجلة دورية عربية محكمة ربع سنوية متخصصة في الدراسات التاريخية، العدد الثالث عشر، السنة الرابعة، الجزائر، شوال 1432هـ. ص96،

4 - عمر الجيدي: مباحث في المذهب المالكي بالمغرب، ط1، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، 193، ص285.

5- شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي: سير أعلام النبلاء، تح: شعيب الأناؤوط وأخرون، ج8، ط1، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1401هـ-1981م، ص337.

6 - أبي العرب: المصدر السابق، ص14.

7 - إبراهيم بكير بحاز: الدولة الرستمية دراسة في الأوضاع الاقتصادية والحياة الفكرية، ط2، المطبعة العربية، غرداية، 1994م، ص387.

ثانياً: جلوسه للحديث:

إن تدوين سحنون لمسائل المذهب المالكي، وانتشارها عنه في الأفاق إفريقية والمغرب والأندلس، وحمله لواء المالكية في تلك الربوع، كل هذا جعله فقيهاً في الدرجة الأولى في أعين الناس، وأدى ذلك إلى تورعه في جانب الحديث الحق في شخصية سحنون مع أنه جانب عظيم الأهمية قد برع فيه وأخذه من كبار محدثي عصره¹، وعمل سحنون في المدونة يعد من أبرز ما يدل على تمكنه من الحديث مما يحمل على توجهه المبكر لهذا العلم.

لقد كان الإمام سحنون حريصاً على سلامة السنة بالمغرب عاملاً على تنقيتها من الشوائب ولا يقبل الحديث دون إسناد²، فقد نهر سليمان بن سالم هو أحد كبار تلاميذه وهو يقرأ كتاب الترغيب من جامع ابن وهب فردد عليه حديثاً هو في كتابه ولم يكن في كتاب سحنون فقال له: "اقرأ الحديث" فلما قرأه أنكره وصاح عليه وقال "من أين دخل هذا الحديث في كتابك؟ فمسك ولم يرد عليه فكلمه ابنه وقال "أصلحك الله" الكتب تختلف فقال له: اطرح الحديث من كتابك"³، وله كلام في التعديل إذ كان ينبه على الأخذ من التفاوت وأخذ هذا العلم من من هم موثوق بهم في دينهم وحسن مخبرهم، كان يقوم بضبط الراوي على ضبط الكتاب، أكثر من ضبط الصدر، وكان له كلام في الرواة، فقد وثق ابن زياد الإفريقي ومروان بن أبي سحمة وغيرهما وكان يقول فيمن جاء للسمع وأخذته غفوة ففاته بعض الحديث إذا جاء السماع وله قصد فهو يخزنه"⁴.

كما كان يقول: أما المسائل فالله أعلم بحقيقتها ويقول: "إني لأخرج من الدنيا ولا يسألني الله عز وجل عن مسألة قلت رأي فيها"⁵، وهكذا ندرك أن اهتمام سحنون برواية الحديث ونقله من مصادر موثوقة لم يكن أقل اهتمامه بالفقه والمسائل الفقهية، كان يقول: "مثل العلم القليل في الرجل الصالح، مثل العين العذبة في الأرض العذبة يزرع عليها صاحبها ما ينتفع به"⁶.

1 - حسن بن محمد شواط: المرجع السابق، ص 138.

2 - محمد عزب محمد زينهم: المرجع السابق، ص 60.

3 - سحنون بن سعيد التنوخي: المدونة الكبرى، تنسب المدونة للإمام مالك بن أنس الأصحبي، ج 1، دار الصادر، بيروت، 1323هـ.

4 - المالكي: المصدر السابق، ص 354، الدباغ: المصدر السابق، ج 2، ص 89.

5 - حسن بن محمد شواط: المرجع السابق، ص 141.

6 - القاضي عياض: المصدر السابق، ص 360.

أما المسائل والفتيا فكانت مدرسة سحنون بن سعيد عظيمة بعدد كبير من التلاميذ برعوا في المسائل والفتيا، وكان لهم أثر طيب في بلاد المغرب والأندلس منهم سعيد بن غفكان بن محمد وهو طليبي الأصل فقد أثرت نشاته العلمية علي يد سحنون فأصبح عالما متبحرا في علوم الشريعة¹.

أ - شدة نفوره من الفتوى والتحذير منها:

كان سحنون شديد الورع، يحذر من الفتوى، فربما جلس السائل في انتظار الجواب أيام طويلة، وكان يقول: "أجراً الناس على الفتيا أقلهم علما، وسرعة الجواب بالصواب أشد من فتنة المال"².

وهذا ما ذكره الدباغ في قوله: "إني لا أسأل عن مسألة فأعرف في أي كتاب وورقة وصفحة وسطر فما يمنعني عن الجواب إلا كراهة الجرأة على الفتيا"³.

وفي قوله: "أشقى الناس من باع آخرته بدنياه، وأشقى من باع حزنه بدنيا غيره"⁴ ولما عوتب عن تأخير الأجوبة قال: "أنا أحفظ مسائل فيها ثمانية أقوال من ثمانية أئمة، فكيف ينبغي أن أعجل بالجواب حتى أتخير، فلم ألام على حسب الجواب"⁵. وانتظر رجل جواب مسأله ثلاث أيام، فلما طال عليه الأمر قال لسحنون في كلام دار بينهما: "وأنت أنصحك الله لكل معضلة فقال له: "هيهات يا ابن أخي ليس بقولك أبذل لحمي ودمي للنار، ما أكثر ما لا أعرف إني لأخرج من الدنيا ولا يسألني الله عز وجل عن مسألة قلت فيها برأي"⁶.

كما كان يقول "ليس للأمر من صاحب من لم ينظر في العواقب"⁷، كان الفقيه سحنون من الأئمة الذين يحافظون على تعاليم دينهم وصلاح معاشهم وكان يقول: "حب الدنيا رأس كل خطيئة، وسأل عن علامة الحكيم فقال: من كان مصيبا في قوله، حلما في غضبه، إذ عفو في قدرته، راضيا بمنزلته، غير مفتون بما ليس

1 - محمد عزب محمد زينهم: المرجع السابق، ص 209.

2 - الحسين بن محمد شواط: المرجع السابق، ص 146.

3 - الدباغ: المصدر السابق، ص 96.

4 - المالكي: المصدر السابق، ص 351.

- المصدر نفسه، ص 353.

6 - حسين بن محمد شواط: المرجع السابق، ص 146، القاضي عياض: المصدر السابق، ص 214، الدباغ: المصدر

السابق، ص 97.

7 - المالكي: المصدر السابق، ص 353.

له، قد استغنى بأمر آخرته عن دنياه"¹، قال ابن قاسم: "ما قدم إلينا من إفريقية أحد مثل سحنون لا ولا ابن غانم وقال الأشهب مثله في سحنون، سحنون أفقه من أسد تسعا وتسعين مرة"².

ثالثاً: موقفه من أهل البدع و محنة خلق القرآن:

اختلف العلماء في تحديد معنى البدعة في الشرع، فمنهم من توسع في هذا التحديد ومنهم من ضيقه، فالإمام الشافعي يقسم البدعة إلى حسنة وسيئة، وهي التي تشمل كل حادث بعد عصر الرسول صلى الله عليه وسلم، وعصر الخلفاء الراشدين³، بينما يفسرها ابن حزم بأنها كل ما لم يأت في القرآن ولا عن النبي صلى الله عليه وسلم، إلا منها ما يؤجر عليه صاحبه، ويعذر بما قصد إليه من خير، ومنها ما يكون مذموماً ولا يعذر صاحبه وهو ما قالت الحجة على فساده فتمادى القائل به⁴.

فقد وقف فقهاء المالكية بالمرصاد للدعوات الهادمة ولأصحابها الذين يحاولون نشرها، وممن اشتهر بالوقوف منهم موقف الصرامة سحنون بن سعيد التنوخي حيث فرق خلق أهل البدع⁵، فهو يعتبر مفتي القيروان وقاضيها⁶، كان ثقة مأموناً صالحاً بالحديث والفقهاء، قال أبي زهرة قلت لسحنون: "إن موسى جلس في الجامع يفتي الناس". ما جلس في الجامع منذ ثلاثين سنة أحق من موسى

1-المصدر نفسه،ص361.

2 -المصدر نفسه،ص366.

3- عيسى بن سهل الأندلسي: ثلاث وثائق في محاربة الأهواء والبدع في الأندلس مستخرجة من مخطوط الأحكام الكبرى للقاضي أبي أصعب عيسى ابن سهل الأندلسي، تح، محمد عبد الوهاب خلاف، مرا وتق: مصطفى كامل إسماعيل ومحمود علي مكي، ط1، مركز العربي الدولي للإعلام، القاهرة، 1981، ص17.

4 - أبي محمد علي بن احمد ابن حزم الظاهري: الفصل في الملل والأهواء والنحل، تح، محمد إبراهيم نصير وعبد الرحمن عميرة، ج3، ط2، دار الحبل، بيروت، 1416هـ-1996م، ص3.

5 - محمد عز الدين الغرياني: المذهب المالكي النشأة والموطن وأثره في الاستقرار الاجتماعي، ط، دار الكتاب الوطنية، بنغازي، 2009 م، ص68.

6 - شهاب الدين أبي الفلاح عبد الحي بن احمد بن محمد العسكري الحنبلي الدمشقي ابن العماد: شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تح: عبد القادر الأرنؤوط ومحمود الأرنؤوط، ج2، ط1، دار ابن الكثير، بيروت، 1408-1988، ص162.

بالفتوى¹، وندرك من ذلك أنه كان على علم بحلقات العلم في المساجد التي كان يلقي فيها دروسه.

تحصن أهل إفريقية عن البدع والأهواء بالمذهب المالكي، وذلك لتعليمهم المتين بالحديث والسنة النبوية الشريفة، لقد كانت الطبيعة الدينية التي تميز بها علماء إفريقية واتسم بها جهادهم العلمي وصراعهم ضد الضلالات المنتشرة حولهم بمثابة ضربة لأصحاب التطرف الخوارج وغيرهم من أصحاب الفرق دفع رجال العلم إلى محاربتهم خصوصاً بعد تولي سحنون بن سعيد القضاء، فأول من عين الإمام على المسجد وهذا لم يكن من صلاحيات القاضي² وأدرك سحنون المكائد التي كان ينوي بها كل من الصفرية والإباضية... وفرق حلقاتهم إذ فرق حلق أهل البدع من الجامع، وشرّد أهل الأهواء منه وكانوا فيه حلقة من الصفرية والإباضية، والمعتزلة، وكان فيه يتناظرون به ويظهرون زيغهم وعزلهم أن يكونوا أئمة الناس أو معلمين لصبيانهم أو مؤدين لهم³ وقد انتصر سحنون للسنة على الجميع فظهر المذهب المالكي وساد بفضل علمه وروعه.

المحنة:

كتب المأمون إلى نائبه على بغداد إسحاق ابن إبراهيم الخزاعي في امتحان العلماء كتاباً يقول فيه "وقد عرف أمير المؤمنين أن السواد الأعظم والأكبر من حشوة الرعية، وسلفه العامة، ممن لا نظر له ولا روية ولا استضاءة بنور العلم وبرهانه، أهل جهالة بالله تعالى وعمي عنه، وصلاته على حقيقة دينه، وقصور أن يقدروا الله حق قدره ويعرفوه حق معرفته، ويفرق بين خلقه، وذلك أنهم ساروا بين الله وبين خلقه وبين ما أنزل من قرآن فأطبقوا على أنه قديم لم يخلقه الله ويخترعه، وقد قال تعالى "إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا"⁴ فكل ما جعله الله فقد خلقه كما قال "وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ"⁵ وقال "الرَّ كِتَابٌ أُحْكِمَتْ

1 أبي العرب: المصدر السابق، ص108.

2 - عبد العزيز مجذوب: الصراع المذهبي في إفريقية إلي قيام الدولة الزييرية، ط2، الدار التونسية للنشر، تونس، 1985م، ص78.

3 - القاضي عياض: المصدر السابق، ص104.

4 - سورة الزخرف، الآية3.

5 - سورة الأنعام، الآية 1

عَايَاتُهُ ثُمَّ فَصَلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَيْرٍ¹ والله محكم كتابه ومفصله، فهو خالقه ومبتدعه².

أول من أظهر قول المأمون بخلق القرآن هو الجعد بن درهم الذي قتله خالد بن عبد الله العنبري يو الأضحى بعد أن خطب خطبة العيد وقال الناس: "ضحوا تقبل الله منا ومنكم فإني مضحي بالجعد بن درهم"³ استمرت محنة خلق القرآن إلى القيروان كانت مواقف العلماء بالقيروان مختلفة وأقوال متعددة منهم الإمام سحنون بن سعيد الذي كان من أهم علماء القيروان في ذلك الحين

عندما بدأت محنة خلق القرآن في الدولة الإسلامية ككل واشتد خطرها خاصة في عهد المعتصم وبالتحديد 218هـ-833م، كان لسحنون موقف خاص⁴، فقد كان هدف هذه المحنة التخلص من الفقهاء والعلماء المعارضين لسياسة الدولة العباسية، وكان وقت ذاك أحمد بن الأغلب الذي أراد أن يطبق نفس هذه السياسة مع فقهاء وعلماء إفريقية⁵.

امتنح الفقيه سحنون بن سعيد مرتين ارتبطت كلتاها بإشعاعه العلمي:

حيث رفض الصلاة خلف القاضي المعتزلي ابن أبي جواد، حيث كان سحنون قد حضر جنازة وهب وكان أخاه من الرضاعة، فتقدم ابن أبي الجواد الذي كان قاضيا قبله، وكان يذهب إلى رأي الكوفيين، ويقول بالمخلوق-فصلى عليها، فرجع سحنون، ولم يصل خلفه، فبلغ ذلك الأمير زياد الله فأمر أن يوجه إلى عامل بالقيروان وأن يضرب سحنون خمسمائة سوط، وبخلق رأسه ولحيته، فبلغ ذلك وزيره علي بن محمد، فأمر الوزير أن يتوقف⁶ ولما ولي أحمد بن الأغلب الإمارة، وقد أخذ الناس بمحنة القرآن، وخطب به بالقيروان، توجه سحنون إلى عبد الرحمن الزاهد بقصر زياد الله⁷. فكان عنده فوجه في طلبه إلى هناك رجل يقال له ابن

1 - سورة هود، الآية 2.

2 - شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي: تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، تح: عمر عبد السلام تدمري، ج15، ط1، دار الكتاب العربي، بيروت، 1411-1991م، ص20.

3 - ابن الأثير: المصدر السابق، ص294.

4 - حسين مؤنس: المرجع السابق، ص142.

5 - محمد زينهم محمد عزب: المرجع السابق، ص167.

6 - فهد بن عبد الله عبد الرحمن سليمان الرومي: مسألة خلق القرآن وموقف علماء القيروان منها: ودورهم في الدب عن مذهب السلف فيها ط1، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، 1417هـ - 1997م، ص93، أبو بكر عبد الله المالكي: المصدر

السابق، ص280. ينظر القاضي عياض: المصدر السابق، ص209.

7 - المالكي: المصدر السابق، ص281.

سلطان¹ وكان مبغضا في سحنون بغضا عظيما اختاره لذلك في خيل وجهها معه، فلما وصل إلى سحنون قال له ابن سلطان: "وجهني الأمير إليك، وقصدي لبغض فيك لأبلغ منك وقد حالت نيتي عن ذلك وأنا أبدل دمي دون دمك، فإذهب حيث شئت من البلاد أو أقم فأنا معك"، فشكره سحنون ما كنت أعرضك لهذا، بل أذهب معك" فخرج وشيعه أصحابه وقال عبد الرحيم لابن سلطان: "قل للأمير أوحشتنا من صاحبنا وأخينا في هذا الشهر العظيم وكان شهر رمضان *سلبك الله ما أنت فيه وأوحشك"².

فلما حضر سحنون عند الأمير جمع له قواده وقاضيه محمد ابن أبي جواد وغيرهم، ثم سأله القاضي عن القرآن، فقال سحنون، أما شيء ابتدأته من نفسي فلا، ولكني سمعت ممن تعلمت منه وأخذت عنه كلهم يقولون: "القرآن كلام الله غير مخلوق"³. فثار محمد ابن أبي جواد "كفر" اقتله ودمه في عنقه"⁴ وقال: غيره مثله ممن يرى رأيه، وقال بعضهم: يقطع أرباعا ويجعل كل ربع موضع من المدينة⁵. وقد قيل إن الأمير قال لداود بن حمزة: "ما تقول أنت" قال قتله بالسيف راحة"⁶ وصاحب هذه المقولة هم من أصحاب السلطان داود بن حمزة، أن تأخذ عليه الضمان وينادي عليه بسماط القيروان وأن لا يفتى ولا يسمع أحدا، ويلزم داره ففعل ذلك وأخذ عليه عشرة حملاء ويقال أن ابن جواد هو الذي أمر بأخذ الحملاء عليه.⁷

وعن بن سهل: "فدخلت عليه، ومعي دراهم اشتري بها ثيابي، من الحرس إن أخذوني فعفاني الله فقلت: "البدعة فاشية، وأهلها أعزاء" فقال لي: "أما علمت أن الله إذا أراد قطع جدعة أظهرها" وما كان إلا زمن قليل ومات الأمير"⁸.

قال المازوري: لما انصرف الحاجب سحنون وبقي بينه وبين القيروان قدر الميل، وإذا بصوت كصوت الغرائيق، هو صوت الخيل، يخبرهم: "إن أميركم قد مات"

1 - أبي عبد الله محمد بن محمد الأندلسي ابن سراج: الحلل السندسية في أخبار التونسية. تح: محمد الحبيب الهيلة، ج1، ط1، مطبعة الدولة التونسية، 1267هـ، ص364.
2 - ابن سراج: المصدر السابق، ص268
3 - الدباغ: المصدر السابق، ص94.
4 - ابن سراج: المصدر السابق، ص370.
5 - القاضي عياض: المصدر السابق، ص11.
6 - المالكي: المصدر السابق، ص386.
7 - الدباغ: المصدر السابق، ص95، 96.
8 - ابن سراج: المصدر السابق، ص2688 -

فقال سحنون: فدخلت بحمد الله سالماً" وهكذا إنتهت المحنة و لم يتعرض لأي خطر يهدد حياته¹.

رابعاً: المدونة ومكانتها العلمية

لم يعرف القيروان شخصية كما سحنون من الأثر في الجانب العلمي، بالقيروان خاصة وبإفريقية والأندلس عامة، فكان يوجه الناس إلى سنة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وإلى عمل الإمام مالك رضي الله عنه ، وذلك من خلال كتابه المدونة الذي دون فيه فقه وأراء المذهب المالكي، حيث كانت جل فقراته الواردة في هذا الكتاب بالعارة التالية: أما قول مالك؟ وعندما يجيبه ابن القاسم يرد عليه سحنون قائلاً: ما قول مالك؟ وهذا دليل على تعلق الإمام سحنون بشخصية مالك رحمه الله و فقهه وكتابه الموطأ. بالرغم من أن سحنون عاش مدة طويلة بلغت الثمانين سنة غير أن انشغاله بالتأليف كان قليل².

إلا أن أهم أثر فعلي تركه سحنون يدل على علو كعبه في الدنيا، هو كتاب المدونة وما يروي عن بعض الشيوخ حيث يقال فيها: "ما من حكم نزل في السماء إلا وهو في المدونة"³. فالمدونة من المراجع الأساسية في الفقه المالكي مثلما في ذلك مثل الكتب التي رواها عبد الرحمن بن القاسم وعبد الله بن وهب وأشهب ... وغيرهم من الأئمة المذهب المالكي.

ولقد سبقت المدونة في الظهور الأسدية والتي كانت تتألف من ستة وثلاثين ألف مسألة⁴، وقيل ستين ألف مسألة⁵ وقد ألفها الأسد بن الفرات بعد رجوعه من العراق⁶

- المالكي: المصدر السابق، ص3861

2 - يوسف علي البدوي: عصر الدويلات الإسلامية في المغرب والمشرق من الميلاد إلى السقوط، ط2، دار الأصاله، الجزائر، 1431-2010، ص83.

3 - ابن فرحون: المصدر السابق، ص61.

4 - عمر رضا كحالة: معجم المؤلفين تراجم مصنفي الكتب العربية، ج5، ط1، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 1414هـ/1993م، ص224.

5 - يوسف علي البدوي: المرجع السابق، ص87.

6 - المالكي: المصدر السابق، ص183.

1- سبب تأليف المدونة: (نشأتها)

يرجع الفضل في ترسيخ مبادئ المذهب المالكي عند مناصريه وإرساءه في أوساط المسلمين ومعرفة قواعد العقيدة الإسلامية الصحيحة دون شوائب، هم العلماء الذين اجتهدوا للوصول إلى هذا المبتغى فكان هناك دارسين لهذا المذهب، والدين زودو من المشرق على يد العلماء المالكية هناك منهم أسد بن الفرات بن سنان النيسبوري قاضي القيروان، وفتح صقلية¹ الذي درس على يد مالك بن أنس رضي الله عنه فلما طلب المزيد، قال مالك بن أنس "حسبك يا مغربي إذا أحببت رأي فعليك بالعراق، فارتحل إلى الكوفة وبدأ التعلم والتفقه على أيدي علمائها فيما هو في العراق يكرع من أهل العراق ويتروى من معينة إذا بلغهم نعي مالك بن أنس رضي الله عنه إمام مدرسة الحجاز².

فحزم أوراقه وجمع حصيلته التي أودعها من مسائل أبي حنيفة وعلمه وتوجه إلى مصر، فقصد ابن وهب عبد الله، الذي كان بينهما سالف مودة قال: "هذه كتب أبي حنيفة ومسائلهوسأله أن يجيبه فيها بمذهب مالك ليدونها فتورع عبد الله بن وهب"³، ثم ذهب إلى ابن قاسم وله في الورع والزهد ما ليس لغيره ولازمه فبدأ يلقي عليه مسائل، وابن القاسم يجيب بما حفظ عن مالك وما لم يحفظه فيقول له إخال: وابن القاسم يسأله كل يوم الأسئلة على طراز المسائل العراقية بالليل ثم يغدوا إليه في النهار ويناظره⁴.

كان ابن القاسم يختم كل يوم وليلة ثلاث ختمات، وقد أضنى نفسه في العبادة،⁵ فسأله أسد عن مسألة فأجابه حتى انقطع⁶ أسد في السؤال، فقال له ابن القاسم: "يا مغربي زد وقل لي من أين قلت حتى أبين لك قول مالك، فقام أسد على

1 - صقلية: باللسان العربي: تين وزيتون، وأن هذا المعنى هو الذي رآه أبو علي الحسن بن رشيق القيرواني ينظر: الحموي: المصدر السابق، ص327.

أما بالنسبة للموقع جزيرة فهي تقع في حوض الأبيض المتوسط وهي أكبر جزيرة وتقع إلى الجنوب الإيطالي ولا يفصلها عنها إلا مضيق صغير وتبعد عن شمال إفريقية بحوالي 165 ميل وهي مثلث الأضلاع تقريبا فتحت في أيام زياد الله الأول ينظر الادريسي: المصدر السابق، ص590، أحمد عزيز، تاريخ صقلية الإسلامية، تر: أمين توفيق الطيبي، دط، دار العربية للكتاب، ب د، 1389هـ-1980م، ص8.

2 - مناع القطان: المرجع السابق، ص352.

3 - المالكي: المصدر السابق، ص256.

4 - يوسف البدوي: المرجع السابق، ص84.

5- الدباغ: المصدر السابق، ج2، ص12.

6- المصدر نفسه، ص16

قدميه في المسجد، فقال "يا معشر الناس إنا كان مالك بن أنس قد مات فهذا مالك
1."

كان أسد بن الفرات يغدوا إلى ابن القاسم كل يوم فيسأله، ويجيبه ابن القاسم
حتى دون ستين كتابا، سماها الأصدية وقيل أن ابن القاسم ترك الأسد في سؤاله
ختمه²، وعندما عزم أسد ابن الفرات على الرحيل إلى إفريقيا ثار عليه أهل العلم
بمصر، فسأله في كتبه أن ينسخوها فأبى عليهم فقدموه إلى القاضي فقال لهم
القاضي: "ما لكم عليه حق، رجل سأل رجل فاسأله كما سأله" وها هو بين
أظهركم، ثم توسلوا بالقاضي له فأعطاهما إياها فنسخوها³.

وعند مغادرة أسد ابن الفرات مصر وجه معه ابن القاسم بضاعة وقال له:
"إذا أقدمت إفريقيا فبعها واشتر بثمنها قوتا، وانسخ الكتب ووجه بها إلي"⁴، فلما
قدم أسد إفريقيا أظهر الكتب وأسمعها الناس وانتشرت بإفريقيا وكان سحنون
ومحمد بن رشيد يكتبانها، فلما سمع أسد ابن الفرات بذلك شح على الكتب ولم
يعطها لأحد⁵، ولم يبق لسحنون من كتاب الأصدية إلى القسم، كما رحل رجل من
أهل جزيرة إلى أسد فسأله القسم الثاني من الكتاب، فأبى أن يعطيه إياه حتى حلفه
أنه لا يعطيه لسحنون ثم تمكن الرجل بذكائه وحيلة من الحصول عليه وأعطاه
لسحنون لتكتمل عنده الأصدية⁶، غير أن سحنون أدرك أنها غير مرتبة ترتيبا دقيقا،
وسار سحنون على نمط أسد ابن الفرات في تأليف الأصدية، فجمع كل ما قيل من
المسائل من مختلف آراء وفقه مالك، و المسائل التي تعددت فيها الأقاويل
والآراء رجع بها إلى مصدر ومرجع الفقه المالكي عند عبد الرحمن ابن القاسم
حيث اعتبره سحنون المصدر الأول للمذهب المالكي لكثرة سماعه من الإمام
مالك⁷.

1- ابن عباد: المصدر السابق، ج2، ص29.

2- المالكي: المصدر السابق، ص189.

3- حمادة الفاروق: الأبحاث لمالكية المغربية، دار القلم مصر، دمشق، 2009م، ص45

- المرجع نفسه، ص4.46

5- القاضي عياض: المصدر السابق، ص480.

6- المالكي: المصدر السابق، ص179-180.

7- عبد العزيز المجدوب: المرجع السابق، ص43.

لقد تعددت آراء المؤرخون في رحلة سحنون إلى ابن القاسم بمصر فمنهم الخشني: "رحل سحنون إلى ابن القاسم وقد تفقه في علم مالك فكاشف ابن القاسم عن هذه الكتب مكاشفة فقيه و هذبها مع سحنون"¹

بينما نجد أن القاضي عياض قد اختلف عن ما جاء به الخشني إذ أن سحنون لما ورد على ابن القاسم سأله عن أسد فأخبره بما انتشر من علمه في الآفاق، فسر بذلك ثم سأله وأحله ابن القاسم من نفسه بمحل، وقال له سحنون أريد أن أسمع منك كتب أسد فاستخار الله وسمعها عليه، وأسقط منها ما كان سرد فيه من قول مالك وأجابه فيه على رأيه، وكتب إلى أسد أن يعارض كتبه على كتب سحنون.²

لقد بين ابن القاسم فيها شيء، كان لا بد من تفسيره، وأجاب عما كان يشك فيه فاستدرك فيها أشياء كثيرة لأنه كان قد ملاها على أسد من حفظه، وبعد عودة سحنون إلى القيروان ومعه كتاب لأسد بن الفرات بأن يرد مدونته على مدونة سحنون، لكن أسد بن الفرات شاور بعض أصحابه فأشاروا عليه بعدم ذلك بحجة أنه تلميذه وأنه أدرك مالك وأبي حنيفة قبله، و إذ نجد في فتاوي البرزلي أن رأيه كان مخالف لما ذكرناه أنفا في قوله: "الصواب ما فعله أسد لأنه سمع من ابن القاسم أجوبتها متافهة والرفع على الخط مختلف فيه بين أهل العلم، فلا يترك شيء مجمع عليه لشيء مختلف فيه أهل العلم"³.

عارض أسد بشدة قبول الإصلاحات التي قام بها ابن القاسم على تأليفه الأسدية، وخاصة عندما أعادها سحنون فقال: "أعرض كتبتي على كتبه وأنا ربيته" المقصود به سحنون، وقيل إن ابن القاسم رفض الأسدية وقال عنها اللهم لا تبارك في الأسدية فهي مرفوضة"⁴.

فكانت المدونة التي كتبها سحنون أكثر تداولاً وهذا ما أكده الشيرازي "واقصر الناس على التفقه في كتب سحنون ونظر فيها نظر آخر، فهذبها ودونها من خلال كبار وأصحاب مالك ما اختار ذكره وذيل أبوابها بالحديث والآثار إلا كتب منها

1- الخشني:المصدر السابق،ص106.

2- القاضي عياض:المصدر السابق،ص476.

3 - أبي القاسم محمد البلوي التونسي البرزلي:فتاوى البرزلي جامع مسائل الأحكام لما نزل من القضايا والمفتيين والحكام، تق وت:محمد الحبيب الهيلة،ج1،ط1،دار الغرب الإسلامي،بيروت،2002م،ص63.

4- القاضي عياض:المصدر السابق،ص481.

معرفة بقيت على أصل اختلاطها في السماع، فهذه هي كتب سحنون المدونة والمختلطة عليكم بالمدونة فإنها كلام وروايته له ¹.

2- سبب إقبال الناس على المدونة دون الأسدية:

كان سحنون يقول: "إنما المدونة من العلم بمنزلة الأم من القرآن تجزي في الصلاة عن غيرها، ولا تجزي غيرها عنها، أفرغ الرجال فيها عقولهم وشرحوها وبينوها، فما اعتكف أحد على المدونة ودرسها إلى عرف ذلك في ورعة وزهده، وما عدا أحد إلى غيرها إلا عرف ذلك فيه ولو عاش عبد الرحمن ابن القاسم أبدا ما رأيتموني أبدا" ².

كان هناك ميزتان مهمتان جعلت الناس يقبلون على المدونة دون النظر إلى الأسدية، أن أسد ابن الفرات سمع الأسدية من ابن القاسم بعد أن ثقل عليه بالأسئلة، والمعروف أن أسد كثير الأسئلة في مجالس مالك ابن أنس ³ مما ذاق منه ونصحه بالذهاب إلى العراق لسماع أبي حنيفة وتلاميذه وذهب ثم رجع إلى القيروان وهو جامع بين المذهبين المالكي والحنفي، مما جعل أهل إفريقية يشككون في الأسدية ⁴.

وأن أسد لم يتقبل الكتب التي قام بإصلاحها عبد الرحمن ابن القاسم مع سحنون ونظر إليها نظرة كبرياء، واعتبر أن هذا أهبط من قدره، مما جعل الناس يعتكفون على دراسة المدونة، وأن أسد ابن الفرات "ضرب شيخا من شيوخ إفريقية معروفا بالعلم ومعرفة بالحديث، عندما شهد عليه في وقت ولايته القضاء أنه انتقض ابن القاسم، فضربه على ذلك ضربا عظيما" ⁵. وللمدونة مكانة عالية

كما تميزت المدونة الكبرى أيضا بسهولة الأسلوب وحسن التنسيق الألفاظ ورسافة العبارات حيث رتبت ترتيبا محكما وصنفت إلى أبواب وفصول، فكان سحنون بمثابة أديب وفقير وعالم ثقة، عارف بأحكام الدين وأموره، فضل كثير من أهل إفريقية والمغرب والأندلس دراسة المدونة عن المؤلفات المالكية الأخرى مثل

1- الشيرازي: المصدر السابق، ص127.
2- القاضي عياض: المصدر السابق، ص486.
3- حمادة الفاروق: المرجع السابق، ص56.
4- الدباغ: المصدر السابق، ج2، ص89.
5- محمد زينهم محمد عزب: المرجع السابق، ص188.

الواضحة لعبد الملك ابن حبيب¹ والعنينة لابن عبدوس²، بل كانوا ينظرون إليها كنظرة الكتاب الأساسي للمذهب المالكي مثلها مثل الموطأ، وضلت المدونة تدرس في المساجد والمجالس والحلقات العلمية في إفريقية وفي المغرب والأندلس حتى جاءت الدولة الفاطمية التي عملت بكل ما لديها لتصدي على أصحاب المدونة لكنها فشلت فشلاً ذريعاً³.

كما أن أسد أمره الأمير زياد الله أن يتوجه إلى صقلية وهو أمير الجيش ففتحها وتوفي بها سنة (213 هـ/829م) وقبره ومسجده بصقلية فكان لسحنون مدة طويلة بعده لنشر مدونته⁴.

إن إحدى مميزات المدونة هي ذكرها لأقوال مالك لأكثر من رواية، منها ابن قاسم والأشهب وابن نافع وابن وهب.... مع ذكرها لقسط مهم من أقوال أصحابه جنب إلى جنب بإضافة إلى اجتهادات سحنون وترجيحاته وتفسيراته واختياراته، ولها كثير من الاختيار⁵.

3 — تأثير المدونة:

لقد كان للمدونة التي اكتمل وضعها بفضل منقحها ومرتبها سحنون بن سعيد التنوخي، تأثير كبير على كل من جاء بعدها من المصنفين والمؤلفين والفقهاء والمحدثين، والقضاة والمفتيين، من جميع المذاهب تأثير بعيد المدى من حيث المنهج والمضمون، وكانت المدونة أهم كتاب أوثق في المذهب المالكي بعد الموطأ، إذ قالوا إنما يفتى بقول مالك في الموطأ فإن لم يجده في المدونة، وإن لم يجده فبقول ابن القاسم فيها لأنه أعلم بمذهب مالك، فالقول ما قاله ابن القاسم وعلى ذلك اعتمد شيوخ المغرب والمشرق. قال الأبياني: "ليس من أصحاب مالك من عرف مذهبه مثل ما عرف ابن القاسم"⁶، وبهذا تقرر أن قول ابن القاسم هو المشهور إذ

1- ابن خير الأشبيلي: الفهرسة، وضع حواشيه: محمد فؤاد منصور، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، 1419 هـ/1998م، ص242.

2- المصدر نفسه، ص248.

3- أبي حنيفة النعمان بن محمد التميمي المغربي: افتتاح الدعوة، ط، مؤسسة الإعلاني للمطبوعات، بيروت، 1426 هـ/2005م، ص26.

4- حمادة الفاروق: المرجع السابق، ص78.

5- المرجع نفسه، ص89.

6- أبي العباس أحمد بن يحيى الونشريسي: المعيار المغرب والجامع المغرب عن فتاوى أهل إفريقية والأندلس والمغرب، إشراف: محمد حجي، ج12، ط، نشر وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المغرب، 1401-1981م، ص23.

كان في المدونة والمشهور في اصطلاح المغاربة هو مذهب المدونة¹، وترسخ هذا التوجه الفقهي المالكي بالمدونة ونهجها حتى بعد وفاة مؤلفها إلى غاية الدولة المرابطية قال المراكشي: "لم يكن يقرب من أمير المسلمين، ويحظى عنده إلا من علم بعلم الفروع بمذهب مالك وهذا لا يجده إلا في المدونة²، و ورثت مدرسة القرويين هذا التوجه وحافظت عليه لأمد طويل ولم يصعب أو ينحسر إلا فترة وجيزة في العهد الموحدى وهذا غيره قد جعل المدونة التأثير الكبير في المذهب على مدار التاريخ وحتى في المختصرات كانت في المصدر المعول عليه³.

كان في المدونة حضور في المدرسة البغدادية والمشرقية عامة كما ذكره المقرئ وكان حضورها بالمعنى والمنهج والاستيعاب فهي ركن معرفي حاضر على الدوام، كما بين مدى اهتمام واحتفاء العلماء بها عبر القرون ولقد وقفت في بعض التعاليق لأحد المتأخرين على الكلام في صناعة التأليف فقد كان للقدماء في تدريس المدونة اصطلاحات اصطلاح عراقي، واصطلاح قروي⁴. بمعنى أن أهل العراق جعلوا مسائل المدونة كأساس المناقشة وتحرير الدلائل على رسم الجدلين وأهل النظر من الأصوليين أما القروي: فهو البحث عن ألفاظ الكتاب وتحقيق ما احتوى عليه بواطن الأبواب وترتيب أساليب الأخبار، و سلك في تنبيهاته مسلكا جمع فيه بين الطريقتين والمذهبيين لقوة عارضته نفعه الله بذلك⁵.

ب - العناية بها ومدى انتشارها:

لقد نالت المدونة عبر تاريخها كثيرا من الرعاية والعناية، ونقلها وشرحا وتدريسا وحفظا واختصارا وزيادة وما كان لها من مكانة في الصدور من حفظ ورسوخ من أعيان المذهب المالكي ما لم يكن لغيرها من الكتب.

فقد شرح محمد بن سحنون منها أربعة كتب منها كتاب المراجعة واختصرها أبو محمد عبد الله بن أبي زيد النفزي القيرواني مولدا من أبي بكر بن اللباد وعليه كان اعتماده في الفقه، و أول نسخة نسخت منها في بغداد بيعت بحلقة أبي بكر الأبهري بعشرين دينارا⁶كم اختصرها أبو القاسم خلف بن القاسم الأزدي المعروف

1- المصدر نفسه، ص25.

2- عبد الواحد المراكشي: المصدر السابق، صص 252-254.

3- حمادة فاروق: المرجع السابق، ص87.

4- المقرئ: المصدر السابق، ج3 ص22.

5- المقرئ: المصدر السابق، ج3، ص29.

6- يوسف علي البدوي: المرجع السابق، ص84.

بابن البرادعي، ويكنى أيضا بأبي سعيد، وهي التي غلبت عليه في وقتنا من كبار أصحاب أبي زيد إلا أنه جاء على نسق المدونة وحذف ما زاد ابن أبي زيد. قال القاضي عياض: "قال ابن الناجي: ما ذكره من كونه تبعه غير صحيحة وكثيرا ما يختصر مختصر أبي محمد مما هو معروف بتهديب البرادعي في جزء كبير علق عليها تعليقا مفيدا جدا.¹

وتناوله كبار العلماء في وقت مبكر بالدراسات والشروح والاختصارات منهم:

إبراهيم بن عنجس بن أسباط الزبادي الفقيه المتوفى سنة (274هـ/888م)، اختصر المدونة في عشرة أجزاء وسهلها كما ذكرها القاضي عياض "اختصر المدونة وجزءها"² أبو حفص عمر محمد التميمي، هو فقيه العالم كان من مجتهدين المبرزين وأئمة القرويين انتفع به خلف كثير حتى قيل عنه التعلم لابن حفص العطار ولم ير في القيروان أحسن تعليما كان له تعليق نبيل جدا على المدونة أملاه سنة سبعة وعشرين وسنة ثمان بعده وأربعمئة.³

أبو القاسم خلف بهلول المعروف بالبربلي، توفي (444هـ/1053م)، شرح المدونة وسماها التقريب واستعمله الطلبة في المناظرات، كان فقيها حافظا للمسائل، جمع في كتابه أقوال أصحاب مالك منهم أقوال الفقيه سحنون وهو كثير الفائدة، كان أبو الوليد هشام بن أحمد الفقيه يقول: "من أراد أن يكون فقيها من ليلته فعليه بكتاب البربلي"⁴، وعثمان بن مالك فقيه خاص وزعيم فقهاء المغرب في وقته، المتوفى (444هـ/1053م)، قال عياض: "له تعليق على المدونة"⁵، وأبو محمد عبد الله بن فرح الطالقي، المتوفى (386هـ/996م)، له كتاب في اختصار المدونة استحسنته القاضي أبو بكر بن زري وذكره في هدية العارفين.⁶

كما حضيت المدونة باهتمام علماء الأندلس، فقد عمد البعض إلى شرح الكتاب وإضافة إليه لبيان ما يشكل فيه من جوانب وبميل البعض إلى الاكتفاء بوضع هوامش وتعليق على بعض المسائل المهمة في ثناياه، وتكفي طائفة

1- القاضي عياض: المصدر السابق، ص468.

2- المصدر نفسه، ص471.

3- أحمد بابا التنيكي: نبيل الابتهاج بتطريز الدباج، 963هـ/1036م، تق: عبد الحميد عبد الله الهرامة، ج1، ط1، كلية الدعوة الإسلامية، طرابلس 1389هـ/1989م، صص299-300.

4- أبو القاسم خلف بن عبد الملك بن مسعود بن موسى ابن بشكوال: الصلة، تح: إبراهيم الأبياري، ج1، ط1، دار الكتاب المصري، القاهرة، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1410هـ/1979م، ص169.

5- القاضي عياض: المصدر السابق، ج2، ص78، التنيكي: المصدر السابق، ص203.

6- ابن خلكان: المصدر السابق، ص386.

باختصار الكتاب لتقريبه إلى طلبة العلم¹، وبلغ عناية أهل الأندلس بالمدونة إلى أنه لا يرقى الفقيه عندهم إلى منزلة الفقهاء المشاورين المعتمدة أقوالهم وآرائهم إلا إذا درس المدونة وحفظها، بل أكثر من هذا فقد اشترط ولاية الأندلس لتولية القاضي أن يكون حافظاً للمدونة مستظهاً بها².

تظهر عناية علماء الأندلس بالمدونة من خلال اجتماع سبعة من الطلبة الأندلسيين الذين سمعوا من سحنون في المدينة واحدة ألبيرة³ ونشطوا في رواية المدونة، ومن الفقهاء الذين رحلوا إلى سحنون وسمعوا منه المدونة نجد أن عبد الله بن محمد بن خالد بن هرتتيل رحل إلى سحنون وسمع منه المدونة، وعثمان بن أيوب بن أبي الصلت، رحل بدوره إلى سحنون وأخذ عنه المدونة وكان أول من أدخلها إلى الأندلس وبهذا الصدد يقول القاضي عياض: "هو أول من أدخل المدونة إلى الأندلس"⁴، وبدخولها إلى الأندلس، عكف الطلاب على دراستها والفقهاء على شرحها واختصارها والتعليق عليها ومن هؤلاء:

سليمان بن عبد الله المبارك⁵ ألف كتاب حول المدونة، وهنا يقول ابن الفرضي: "وكان عالماً عابداً مجتهداً وجوب باقي المختلطة من المدونة على فعل سحنون"⁶، فضل بن سلمة: ألف كتاب اختصر فيه المدونة، حيث يقول ابن فرحون: "كان من أعلم الناس بمذهب مالك وله مختصر في المدونة"⁷ وأبو إسحاق إبراهيم بن محمد بن سنظير الأموي الطليطلي، المتوفى (402هـ - 1012م) صاحب

1- محمد بن حسين شرجيلي: تطور المذهب المالكي في الغرب الإسلامي حتى نهاية العصر المرابطي، ط1، مطبعة فضالة، المغرب، 1421هـ/2000م، ص301.

2- مصطفى هروس: المدرسة المالكية الأندلسية إلى نهاية القرن الثالث هجري نشأة وخصائص المدرسة، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المغرب، 1418هـ/1997م، ص374.

3- ألبيرة: هي كورة من الأندلس ومدينة متصلة بالأراضي كورة قبلة بين القبلة والشرق من قرطبة، بينها وبين قرطبة تسعين ميلاً، وفيها عدة مدن منها غرناطة ينظر: الحموي: المصدر السابق، المجلد1، ص348. الفقهاء السبعة الذين اجتمعوا بألبيرة في وقت واحد من رواة سحنون هم: إبراهيم بن شعيب، أحمد سليمان، سليمان بن نصر بن إبراهيم بن خالد، إبراهيم بن خالد، إبراهيم بن خالد، عمر بن موسى الكنائي، سعيد بن النمر الخافقي. ينظر: أبو الوليد عبد الله بن محمد بن يوسف ابن الفرضي: تاريخ علماء الأندلس، صححه عزت عطار الحسين، ج1، ط2، دار المصرية للتأليف والترجمة، ب د، 1966م، صص 09-10.

4- خديجة بورملة وسميرة مؤذن: تطور المذهب المالكي بالأندلس على عهد الإمارة الأموية (138-316هـ/756-929م) مذكرة لنيل شهادة ليسانس، قسم التاريخ، جامعة مصطفى استنبولي، معسكر، 1429هـ/2004م، ص60.

5- عبد الله المبارك: من أهل قرطبة يكنى أبا أيوب ويعرف بابن المشتري، سمع من ابن وضاح وعبد الله بن يحيى، وكان مشاوراً في الأحكام، سمع الناس منه كثيراً توفي سنة (335هـ/947م). ينظر ابن الفرضي: المصدر السابق، ص187.

- ابن الفرضي: المصدر السابق، ص136

7- ابن فرحون: المصدر السابق، ص219.

تاريخ جرجال الأندلس، قال ابن شكوال: كان له عناية فطلب وسماع ودين وفضل، وكان يبصر الحديث وعلله قد اختصر المدونة والمستخرجة¹.

فقد كانت المدونة عندهم لها مكانة علمية عالية وهذا ما ذكره المقرئ "بخارج قرطبة ثلاث قرى في كل قرية منبر وفقه مقلص، تكون فيه الفتوى في الأحكام والشرائع، وكان لا يجعل المقلص عندهم على رأسه إلا من حفظ الموطأ، وقيل من حفظ عشرة آلاف حديث عن النبي صلى الله عليه وسلم وحفظ المدونة وكانوا هؤلاء² المجاورون لقرطبة يأتون يوم الجمعة للصلاة مع الخليفة القرطبي، ويسلمون عليه ويطلبونه بأحوال بلدهم وهؤلاء المقلصون³. غير أن المدونة قد غدت جزءاً من الموطأ حيث نشر سحنون الأحاديث والآثار فيها، وقد رواه عن ابن قاسم وابن وهب وغيرها فجله فيها الآن، كما أنها من السعة والشمول والترتيب بما لا يوازي بها كتاب آخر ومن حيث الغزارة وكثرة المسائل، ومن حيث السعة والشمول وبعد التصور والافتراض⁴.

5— حفاظ المدونة:

إن حفاظ المدونة أئمة أعلام وهذا بسبب طول المدونة وكثرة مسائلها، وهذا له دلالاته البليغة نذكر منهم:

- أبو إسحاق إبراهيم بن محمد بن باز يعرف بابن الفزاز، المتوفى سنة (274هـ/888م)، بطليطة وهو أحد رواةها عن إمام سحنون، فقيه عالم زاهد، ورع، حافظ للمذهب المالكي، متقن له قال ابن أبي دليم ربما قرأت عليه المدونة والأسمعة ظاهراً فيرد الواو والألف⁵.
- أبو عبد الله بن زيد بن خالد البجائي، المتوفى سنة (319هـ/931م)، من أهل الدين سمع محمد بن سحنون وجماعة من أصحاب سحنون، كان حافظاً للمدونة⁶.

1- ابن شكوال: المصدر السابق، ص92.

2 أحمد بن محمد المقرئ التلمساني: نفع الطيب في غصن الأندلس الرطيب و ذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب، تح: إحسان عباس، ج1، ب ط، دار الصادر، بيروت، 1988/1408، ص458.

3- المقلصون: من يضع على رأسه قلنسوة وهي شعار العلماء آنذاك، يوسف علي البدوي: المرجع السابق، ص459.

4- المقرئ: أزهار الرياض، المصدر السابق، ص26.

5- ابن فرحون: المصدر السابق، ص261.

6- القاضي عياض: المصدر السابق، ج2، ص297.

- لقمان بن يوسف الغساني، المتوفى (319هـ/931م)، مكث أربع عشر سنة يدرس المدونة ويكتبها في اللوح، حتى خرج له في جسمه خراج من رأس اللوح وكان سبب موته.
- أبو سليمان ربيع سليمان القطان، توفي سنة (332هـ/944م)، من الفقهاء المعدودين والعباد المجتهدين ونسك أهل الورع والدين، كان حافظاً للمدونة وغيرها.¹
- أبو عبد الله ميمون بن سيمون الأنصاري الطلطي، زاهد ورع عاقل، حافظ للمسائل، ذكر أنه يستظهر المدونة كتبها في لوح وحفظها كما يحفظ القرآن الكريم ولم يكن يخلط بها وغيرها.²
- أبو إسحاق إبراهيم بن محمد بن شنطير الأموي، المتوفى سنة (402هـ/1012م)، كان يحفظ المدونة ظاهراً ويلقى المسائل من غير أن يمسك، ولا يقدم مسألة ولا يؤخرها.³
- ابن الفخار محمد بن عمر بن يوسف القرطبي المالكي، توفي سنة (419هـ/1028م)، إمام حافظ وعلامة، كان يحفظ المدونة وينصها من حفظ.⁴
- أبو القاسم السيوري عبد الحق بن عبد الوارث التميمي، توفي سنة (460هـ/1068م)، من الحفاظ المعدودين والأئمة المبرزين، كان يحفظ المدونة من صدره ودواوينه المذهب الحفظ الجيد.⁵
- أبو أحمد جعفر بن عبد الله بن محمد بن سيد بونة، الصوفي الكبير، توفي سنة (499هـ/1106م)، كان يستحضر كتاب الموطأ والمدونة عن ظهر قلب حرفاً حرفاً.⁶
- أبو الحسن علي بن مسعود بن عصام الخولاني، المتوفى سنة (518هـ/1221م)، كان فقيهاً مشاوراً حافظاً للمدونة.⁷

1- القاضي عياض: المصدر السابق، ص310.

2- الدباغ: المصدر نفسه، ج2، ص91.

3- ابن بشكوال: المصدر السابق، ص92، خديجة بورملة وسميرة مؤذن: المرجع السابق، ص63.

4- أبي عبد الله محمد بن محمد بن عبد الملك الأنصاري الأوسي المراكشي: الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة، تح: محمد بن شريفة، ج2، ب ط، دار الثقافة بيروت، لبنان، ب ت، ص87.

5- الدباغ: المصدر السابق، ج3، ص226.

6- التنبيكتي: المصدر السابق، ص153.

7- المصدر نفسه، ص311.

يعد القضاء¹ في الإسلام واحدا من شامخاته المتفردة وأعلامه العالية الواضحة، وكل ذلك في شريعته وتاريخه وتوجيهاته وحضارته وإنجازاته، لأنه يقوم على عقيدة أكرم الله بها المسلمين، فقد أولاه الله مكانة عالية لأنه جاء ليوجه حياة الناس ويصورها بشريعته، فهو يقوم على العدل و المساواة المجردة المطلقة حتى في سير من الأمور العامة، فهو يستند في أحكامه إلى كتاب الله عز وجل وسنة النبي صلى الله عليه وسلم، وأعمال الخلفاء الراشدين والصحابة الأكرمين²، فإن الله تعالى قد رفع الحكام، وجعل إليهم تصريف الأمور الأنام، يحكمون في الدماء والأموال والحلال والحرام، فلا شرف في الدنيا بعد الخلافة أشرف من القضاء.³

وكان الخلفاء في صدر الإسلام يباشرون بأنفسهم الأعمال القضائية، ولا يجعلون للقاضي إلى من سواهم وأول من دفعه في غيره وفوضة فيه هو عمر ابن الخطاب رضي الله عنه، فولى أبي الدرداء معه في المدينة وولي شريحا بالبصرة، وولي أبا موسى الأشعري بالكوفة، وعمر بن الخطاب هو صاحب الرسالة القضائية المشهورة التي أرسلها إلى قاضيه على البصرة الصحابي أبي موسى الأشعري عبد الله بن قيس، والتي بدأها "بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله عمر بن الخطاب أمير المؤمنين إلى عبد الله بن قيس، سلام عليك، أما بعد: فإن القضاء فريضة محكمة وسنة متبعة، فافهم إذا أدن إليك فإنه لا ينفع تكلم بحق نفاذ له".⁴

ولا يجوز أن يقلد القضاء إلا إذا تكاملت فيه شروطه التي يصح معها تقليده وينفذ بها حكمه وهي سبعة: فالشروط الأول أن يكون رجلا وهذا الشرط يجمع صفة

1- القضاء: يأتي في اللغة على أنحاء مرجعها إلى انقطاع الشيء وتمامه ويقال: "قضى الحاكم" إذا فصل الحكم، و"قضى" أي قطع لغريمه قبل الأداء، "وقضيت الشيء" أحكمت عمله ينظر: أبو الحسن بن عبد الله بن الحسن النبهاني المالقي الأندلسي: المراقبة العليا في من يستحق القضاء والفتيا، تح: لجنة إحياء التراث العربي، ط5، دار الآفاق الجديدة، بيروت، 1403هـ / 1983 م، ص02. قوله تعالى "إِذَا قُضِيَ أَمْرًا" ينظر: سورة مريم، آية35 أي أحكمه وأنفذه. ينظر: المصدر نفسه، ص04.

2- عبد الرحمن علي الحجر: القضاء ودراسة الأندلس، مركز تحقيق العلوم الإسلامي، بغداد 1988م، ص5

3- أبو الحسن النبهاني: المرجع السابق، ص02.

4- عبد الرحمن علي الحجر: المرجع السابق، ص192.

الذكورية، والصحة والكمال والعقل الذي يتعلق به التكليف من علمه بالمدرجات الضرورية حتى يكون صحيح التميز جيد الفطنة والشرط الثالث الحرية، لأن نقص العبد على ولايته نفسه يمنع من انعقاد ولايته على غيره، والإسلام لكونه شرطاً في جواز الشهادة¹، مع قول الله سبحانه وتعالى: "وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا"² ولا يجوز أن يقلد الكافر القضاء على المسلمين قول أبو حنيفة النعمان: "يجوز تقليده القضاء بين أهل الدين، وهذا وإن كان عرف الولاية بتقليده جارياً فهو تقليد زعامة وليس بتقليد حكم القضاء" والعدالة هي أن يكون عفيفاً من المحارم بعيداً عن الريب فهي التي تجوز بها شهادته، وتصح معها ولايته، وعمله بالقياس الموجب لرد الفروع إلى الأصول³.

فلا يصح تقديم اثنين على أن يقضيا معا في قضية واحدة، وتعيين القاضي يكون عن طريق الخليفة أو هو يقوم به⁴، وهذا إنما يدل على أن تعيين القاضي لا يكون إلا في رجل واحد تتميز فيه كل الشروط التي تناسب أن يكون قاضياً عادلاً يقوم بمسؤولياته اتجاه وظيفته.

في نهاية القرن الأول هجري وبداية القرن الثاني هجري هو عهد الأئمة المجتهدين الذي يعتبر بحق العهد الذهبي للتشريع الإسلامي وللقضاء في الإسلام، فقد أطلق الأئمة الأربعة وتلاميذهم لعقولهم العنان، وبدؤوا يقترحون الأسئلة ويفرضون ويضعون لها الأجوبة حتى يكون لهم في ذلك آلاف المسائل شملت أبواب الفقه جميعها وبذلك تركوا للقضاة مادة غنية تساعدهم في تسيير أمور القضاء⁵.

أولاً: القضاء عند دولة الأغلبية قبيل تولي سحنون:

1- أبي الحسن علي بن محمد بن حبيبة الماوردي: الأحكام السلطانية والولايات الدينية، تح: أحمد مبارك البغدادي، ط1، مكتبة دار ابن قتيبة، الكويت، 1409هـ/1989م، ص88.

2- سورة النساء، الآية 141.

3- أبي الحسن الماوردي: المصدر السابق، ص89.

4- عبد الرحمن علي الحجر: المرجع السابق، ص194.

5- منان القضان: المرجع السابق، ص51.

إن الدولة الأغلبية (184هـ-236م/800-909م) في المغرب الأدنى، تختلف اختلافا كبيرا عن الدول المعاصرة لها من حيث نشأتها وتاريخها السياسي عموما باعتبارها الدولة المستقلة الوحيدة التابعة للخلافة في المشرق وتاريخ قضاء عندها خصوصا، فإن القضاء الأغلب هو امتداد للقضاء في عهد الولاة ولذلك كان مند البداية كاملا ناضجا واضح المعالم لا يختلف كثيرا عما عليه في المشرق الإسلامي آنذاك، كان عبد الله بن عمر بن غانم الذي كان قاضيا مند عصر الولاة لمدة عشرين عاما، الذي عاش آخر عهد الولاة وأول عهد الأغلبة، فكان أول قاض للأغلبة لم يعزله الأمير إبراهيم بن الأغلب وكان تعيينه من الخلافة مباشرة¹، وبعد وفاته عين إبراهيم ابن الأغلب بنفسه قاضي القيروان تطبيقا وتأكيدا لمسؤوليته الكاملة والمطلقة في إمارة المغرب.²

ولقد بدا في الوهلة الأولى أن قضاة العهد الأول من الأغلبة كانوا أطول مدة في قضائهم من الفترات اللاحقة، فإذا كان القاضي الأول محمد بن عبد الله الكناني أبا محرز ظل قاضيا في القيروان أكثر من ثلاث وعشرين سنة (191هـ-806م/214هـ-830م)، إن القضاء الأغلب هو النموذج الأعلى لما وصل إليه القضاء في المغرب الإسلامي في الأولي بدايته، وقد كان القضاة منتشرين في بعض المدن المهمة الأغلبية، ولكن قاضي القيروان هو الأهم وسلطته الروحية والمعنوية تتجاوز حدود العاصمة لكي تتسع على كامل الإمارة.³

كان الأمير الأغلب ينقي هؤلاء القضاة، انتقاء جيدا بين العلماء الأعلام الراسخين في الفقه وفقه الأحكام بالذات، كما أنه من أجل إرضاء العامة ابتدع الأغلبة فكرة تولية قاضيين في القيروان في آن واحد، ولقد وقع ذلك للمرة الأولى في عهد زياد الله الأول (191-214هـ/806-829م) أبقى أبا محرز محمد بن عبد الله

1- إبراهيم بكير بحاتز: القضاء في المغرب الإسلامي من الفتح حتى قيام الخلافة الفاطمية المدرايون الرستميون الأغلبية (96-296هـ/715-909م)، تقديم: فاروق فوزي، ط1، دار الياقوت للطباعة والنشر، الأردن، 1422 هـ/ 2001 م، ص192.

2- الرقيق القيرواني: المصدر السابق، ص229.

3- ابن الأثير: المصدر السابق، ج5، ص109، ابن عذاري: المصدر السابق، ص92، ابن خلدون: المصدر السابق، ص418.

الكناني في القضاء وجعل معه سنة (203هـ/818م)، أسد بن الفرات قاضيا فكان الأول على مذهب مالك والثاني على مذهب أبي حنيفة.¹

غير أن في العالم الإسلامي كله كانت الظروف السياسية كلها لا تعين القاضي العادل على القيام بمسؤوليات وظيفته، فكان المتحرزون من أهل العلم والفضل يفضلون البعد عن منصب القضاء والاكتفاء بأن يكونوا من أهل شوري أي يتشاورون في الأحكام والنزول دون أن يكونوا في منصب رسمي يتقاضون عليه أجرا²، خاصة وأن أمراء الأغلبية كانوا في جملتهم أصحاب أهواء يتمتعون بسلطان كبير يصعب على القاضي أن يتصدى لهم، ويضاف أن الدولة العباسية تعرضت منذ أيام المأمون بمحنة خلق القرآن، فقام الخلفاء ورجالهم بامتحان القضاة وإرغامهم بقول أن القرآن مخلوق مما كان سببا من تخوف الفقهاء و العلماء من تقلد المناصب العليا لان كان ذلك يقتضي بالضرورة ان ينحني للأمراء و أهوائهم و رغباتهم.³

ثانيا: توليه منصب القضاء:

إن الظروف السياسية في إفريقية في عهد الأغلبية لم تكن بأحسن مما كانت عليه من البلاد الإسلامية، فقد كان الأمر والخلفاء ذا سلطة مطلقة مما يجدر من القاضي أن يكون منحى الرأس للأمراء حتى يحتفظ بمنصبه، ولا شك أن سحنون كان حريصا على أن لا يتولى القضاء⁴ في عصر أصرت فيه الدولة على امتحان القضاة وأهل الفقه، فإذا كان سحنون قد ابتعد عن القضاء فقد كان ذلك بعد النظر منه والمحافظة على نفسه.

فلم يتطلع سحنون في ظاهر الأمر لتقلد منصب القاضي إفريقية لأنه كان غير راغب كما يقول تلامذته إذ أن أمنية سحنون كانت في خدمة العلم، ونشر المذهب

1- الدباغ:المصدر السابق،ج2،ص327، أبي العرب:المصدر السابق،ص105، الخشني:المصدر السابق،ص238.

2- إبراهيم بكير بحاز:المرجع السابق،ص101.

3- محمد زينهم محمد عزب:المرجع السابق،ص146.

4- الدباغ:المصدر السابق،ج2،صص 86 87 .

المالكي، وقيل إن سحنون مر يوماً في أحد أسواق فوجد ظلماً¹ ووقع من قاضي إفريقية آنذاك محمد بن أبي الجواد، والذي كان يضمر سحنون الحقد والكرهية فلم يستطع سحنون أن يمنع هذا الظلم بل قال عبارة "اللهم لا تمتني حتى أراه بين يدي قاض عدل يحكم فيه بالعدل"²، وكانت علاقة سحنون بأبي جواد غير ودية، وهذا يرجع إلى ما حدث من سحنون في رفضه الصلاة وراء أبي جواد فاعتبرها إهانة له ولمكانته بين الناس.

لما أسندت إمارة إفريقية لمحمد ابن أحمد بن الأغلب (226هـ/841م) جمع كبار الفقهاء والعلماء للمشورة، وأخذ رأيهم حول من يتقلد منصب قاضي إفريقية، فأشار سحنون بسليمان بن عمران وأشار أهل الكوفة بسحنون وأشار غيرهما بسليمان، وهذا يرجع للعاطفة نحو فقه أهل الكوفة الحنفي.

فبعث ابن الأغلب ابن قادم إلى سحنون يقول له: "إني أريد أن أستكفيك قضاء رعيتي، فقال له سحنون قل له: أصلح الله الأمير إلا أقوي عليه و قال محمد بن سحنون ولي سحنون للقضاء بعد أن أدير عليه حولا كاملا وأغلظ عليه أشد الغلظة"³.

قال سحنون: "لم أكن قبول هذا الأمر حتى كان من الأمير معنيان أحدهما أعطاني كلما طلبت وأطلق يدي في كل ما رغبت حتى أني قلت له: أبدأ بأهل العلم بينك وقرابتك وأعوانك فإن قبلهم الناس وأموالهم منذ زمن طويل إذ لم يجتري عليهم إن كان قبلي، قال لي: نعم لتبدأ بهم أجرى الحق على معزف رأسي، فقلت له: والله، قال لي: الله ثلاثا وجاءني من عزمهم مع هذا ما يخاف المرء على نفسه، وفكرت فلم أجد أحد يستحق هذا الأمر وأم أجد نفسي سعة في رده"⁴. ان الشروط التي فرضها سحنون كانت كافية بالنسبة إليه حتي يتولي القضاء وذلك في رمضان سنة (234هـ/847م)

1- ابن خلدون:المصدر السابق،ص200.

2- القاضي عياض:المصدر السابق،ج2،ص209.

3- القاضي عياض:ا تراجم أغلبية، المصدر السابق،ص96.

4- المالكي:المصدر السابق،ص283.

وأقام قاضيا ستة أعوام لم يأخذ على ذلك أجرا¹.

ساد الحزن حياة سحنون نتيجة ما اضطر فيه لقبول القضاء وقد وصف تلميذه سليمان بن سلام موقف سحنون بعد ذلك "لما تمت ولايته تلقاه الناس، فرأيته على دابة ما عليه كسوة ولا قلنسوة والكأبة في وجهه، ما يتجراً أحد علي أن يهنئه، فسار حتى دخل على ابنته خديجة، وكان من خيار الناس فقال لها: "اليوم دبح أبوك بغير سكين"² فعلم الناس قبوله القضاء و كان القاضي إذا تولي القضاء لفصل النزاع فإنه يتتبع الحجاج ويسمع البينة و يجتهد في تطبيق الحكم المناسب³.

ولما ولي جاءه عون بن يوسف فقال له: نهنئك أو نعزيك، ثم سكت فقال: بلغني أنه من أتاه بغير مسألة عين عليه، ومن أتاه عن مسألة لم يعين عليه، فقال له سحنون: "من ولته الشفاعة عزلته الشفاعة، ومن ولته الشفاعة حكمته بالشفاعة"⁴، قال سليمان بن عمران: "لما ولي سحنون بالقضاء قال لي: إذا ولي القاضي الشقى كيف يكتب كذا..؟ فكتب له ذلك، وكان سليمان يكتب لسحنون في قضائه⁵ وبعد ذلك ولاه بجباية وباجة والأرس، كما أن سحنون لا يأخذ لنفسه رزقا ولكن كان يأخذ لأعوانه وكتابه وقضاته من جزية أهل الكتاب، وقال محمد بن سحنون عن أبيه وموقفه من أخذ الراتب قال الأمير: "والله لو أعطيتني ما في بيت مالك وأضاف كلامه لو ملأت لي مجلسك هذا بي دراهم ودنانير، ما سألتني الله أن أقبل منك، ولأخذ منك شيئا"⁶.

- سحنون بن سعيد: المصدر السابق، ص 1031

- المصدر نفسه، 1042

3- اسماعيل موسى: المرجع السابق، ص 167.

- ابن عبد البر: المصدر السابق، ص 4.89

5- الدباغ: المصدر السابق، ص 88.

6- سحنون بن سعيد: المصدر السابق، ص 105.

ثالثاً: التنظيمات القضائية:

لقد استطاع القاضي سعيد بن سحنون بفضل شخصيته المتميزة من تغييرات وتنظيمات قضائية تميز بها عن غيره من القضاة، كما أن ولاية سحنون القضائية لم تعتبر رفعا للواء الحق، وإيدانا بسيادة القانون والعدل في إفريقية فقط، بل إنما كانت أيضا بداية تنظيمات قضائية لم تعرفها البلاد قبل قضاء سحنون حتى خارج إفريقية¹.

أ— تقسيم السلطات:

أول ما أستهل به سحنون هو تقسيم السلطات حيث اتسم بمجموعة من الخصائص في بداية هذه المرحلة التي ساهمت بشكل كبير في بناء تنظيماته القضائية أهمها:

1 — القضاء العادي: وهو يرجع إلى القاضي أصلا، ويتفرع منه

2 - القضاء الخاص: يخص رجال الدولة وقرابة الأمير وهو المسمى بالمظالم.

3 — القضاء العاجل: (المستعجل) وهو الخاص بالفصل في القضايا السريعة، مثل المخالفات أو الجرائم التي ترتكب في الأسواق التي كانت تتطلب الحكم السريع في موضوع الحادثة نفسها.

أ— أعوان القاضي:

- أبو حبيب سيدي: الإمام سحنون مشكاة نور وعلم وحق، ط1 دار الفكر، دمشق، 1402هـ - 1981م، ص651

فبعد جلوسه للقضاء أمضى أياما يبحث فيها عن أعوان المناسبين إلى جانب سليمان بن عمران الذي عينه في أثناء توليه القضاء، الذي كان يدون سجل الأحكام ويحتفظ به ويحتفظ بقوائم الشهود العدول، اتخذ له سحنون الأمانة الذين يساعدونه في التعرف على أحوال المتقاضين والشهود الذي كان يعهدهم بحفظ الودائع التي كانت قبل ذلك تحفظ في بيوت القضاة، كما اتخذ الأمانة في البوادي أيضا¹

ب - الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر: وهي خطة اتبعها القاضي سعيد بن سعيد التتوخي والتي لم تكن قد عرفت من قبل في أي تنظيم قضائي، أي عندما كان يؤدب الناس على الإيمان التي لا تجوز في إيمان الطلاق والعناق وما شابهها بل كان ينهي عن المنكر، كما انه كان ينهي عنه حتى في الجنازة حيث أنه عين شق الجيوب ولطم الحدود، و وضع التراب على الرؤوس وما شابه ذلك² كان سحنون يكتب للناس أسمائهم في الرقاع، تجعل بين يديه ويدعوا واحدا واحدا إلى أن يأتي مضطر أو ملهوف، وكان يضرب بالدرة ومن خلف من الأدب في الجامع وكان كثيرا ما يؤدب بلطم القفا³.

ت - دوره في تنظيم الحسبة:

الحسبة⁴ من القواعد والأمور الدينية، وقد كان أئمة الصدر الأول يباشرونها بأنفسهم لعموم صلاحها وجزيل ثوابها، وهي الأمر بالمعروف إذا ظهر تركه، ونهي عن المنكر إذا ظهر فعله، وإصلاح بين الناس قال الله تعالى: "كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ

1- أبو حبيب سعدي: المرجع السابق، ص67.

2- المالكي: المصدر السابق، ص586، القاضي عياض: المصدر السابق، ص104.

3- سحنون بن سعيد: المصدر السابق، ص107.

4- الحسبة: هي مصدر احتسابك، الأجر على الله، فعلة حسبة واحتسب فيه احتسابا، واحتساب طلب الأجر، واسم الحسبة بالكسر وهو الأجر. ينظر عبد الله محمد عبد الله: ولاية الحسبة في الإسلام ط1 مطبعة الحكومة، الكويت، 1417هـ-1996م ص7

أَخْرَجَتْ لِلنَّاسِ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ¹ والمحتسب من نصبه الإمام أو القاضي للنظر في أحوال الرعية والكشف عن أمورهم ومصالحهم.²

حين ولي سحنون القضاء، سار ينظر في قضايا الحسبة وهو أول قاض فعل ذلك، وهذا في مجال الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وهو أول من نظر في انتظام سير الأمور في الأسواق من القضاة وكان النظر في الأسواق قبله من اختصاص الأمراء فقد كان يسير في الأسواق يسلم على الناس، وينظر فيها بصلح من المعاش وما تعيش من السلم، وكان يؤدب بنفسه في الأسواق على الغش، وينفي من الأسواق من يستحق ذلك من التجارة، وعن هذا الطريق وسع سحنون اختصاص قاضي القيروان وأدخل في نطاق الحسبة تعديلات لم تكن لقاضي قبله³، وضمن هذا الإطار امتد سلطانه في الأندلس إذ تقول الرواية أنه كاتب إلى محمد بن زياد قاضي قرطبة، يأمره بالسد والمعاقبة لمن خالفه وتكرار الأدب والضرب عليه حتى يؤدب أو يموت.⁴

توسع نطاق الحسبة خارج الأسواق حتى شمل مدينة القيروان بأكملها، فقد تتبع الفساق والفجار من الرجال والنساء، ثم أدب المرأة ممن كن يحرضن على الفسق، ثم أنه نقلها بين القوم الصالحين، كما أنه حرص على سلامة المدينة وأمنهم. قرر التخلص من الكلاب الضالة، وكتب إلى أعوانه يأمرهم بقتلها كما اعتبره سحنون أمرا بالمعروف ونهيا عن المنكر.⁵

ث - الإشراف على الجامع:

إن سحنون كان شديد الحرص على الجانب العلمي حتى بعد توليه القضاء، فقد اعتبر الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هو تفريق حلقات العلم والمناظرة

1- سورة آل عمران، الآية 110.

2- محمد بن محمد أحمد القرشي ابن الأخوة: معالم القرية في أحكام الحسبة، ب ط، مطبعة دار الفنون، ب د ، 1937م، ص378.

3- المالكي: المصدر السابق، ص275، القاضي عياض: المصدر السابق، ص594.

4- المصدر نفسه، ص278.

5- الخشني: المصدر السابق، ص105.

التي كان يعقدها في المسجد الجامع بالقيروان، علماء الصفرية والإباضية والمعتزلة ممن كان يعتبرهم من أهل الزيع و البدع، فكان أول من فعل ذلك من قضاة القيروان.¹

ج - أحكام سحنون القضائية:

إن سحنون بن سعيد لما كلف بالقضاء وعينه الأمير الأغلبى لازم بيته ثم حضر جنازة فرأى منكرا ولم تطاوعه نفسه السكوت عنه فأمر بتغييره وانصرف فنظر بين الناس في قضاياهم، فكان سحنون شجعه هذا المنكر على القضاء، خلال تأديته للقضاء، بلغ القضاء قمته لما تربع سحنون على عرشه الذي كان جده وأضاف إليه إضافات تدل على مقدرته ومكانته وتفهمه للوضع الذي تعيش فيه أمتة.²

كانت جلسات المحاكمة تجري في المسجد، وقد رأى سحنون أن يبني بيتا خاص لذلك، كما كانت تجري علنيا قبل تولي سحنون، غير أن سحنون حافظ على سرية المحاكمة، بينما كان يرسل بطاقة الدعوى مع المدعي كي يسلمها إلى خصمه، وفيها دعوته إلى جلسة المحاكمة، كما كان يقيم الحدود خارج المسجد، وأما التعزيز فكان ينفذه داخله.³

لم تقتصر المحاكمة على النقاش بل كان يضرب الخصوم إذا أدي بعضهم بعضا بكلام يؤدبهم إن طعن على الشاهد بعيب أو تجريح، هذا كله جعل القاضي يسأل عن بيعة تجريه، ويقول للخصوم: أنا عني بذلك وهو على ذونك، وكان إذا دخل عليه شاهد ورعب منه، أعرض عنه حتى يستأنس ويذهب روعه، فإن طال ذلك به هون عليه وقال له: ليس معي سوط ولا عصا فلا عليك بأسس أن ما علمت ودع ما لم تعلم،⁴ كان سحنون يؤدب الناس على الإيمان التي لا تجوز في الصلاة والعتق حتى لا يحلفوا بغير الله، ويؤدبهم على سوء الحال في لباسهم وما نهى عنه،

1- سحنون بن سعيد:المصدر السابق،ص106.

2- سحنون بن سعيد:المصدر السابق،ص106.

3- أبو حبيب سعدي:المرجع السابق،ص72.

4- المالكي:المصدر السابق،ص286.

ويأمرهم بحسن السير والقسط، كما كان يحاول الستر على الكرام من الناس ولاسيما أهل العلم، لأن الخصوم بينهم تورث الحط من الأصالة والعلم¹، وأكثر من ذلك فإنه منع أصحاب الفرق المخالفة لسنة نبينا من أن يكونوا أئمة في المساجد أو معلمين للصبيان، أو مؤدبين في الكتاتيب، وكان ينزل عقاب صارم على من يخالف أمره منهم، كما أنه دفع بالكثير منهم إلى التوبة، عما كانوا يعتقدون فيه، وكان يجعلهم يعتقدون ذلك من أعلى منبر للجامع، وفي نطاق الإشراف على جامع القيروان أخذ سحنون بنفسه تعيين إمام الصلاة وكان ذلك من حق الأمراء ولم يكن من حق القاضي قبل توليه، قال ابن الحارث: "سحنون أظهر السنة وأحمد البدعة"².

الشدّة في تطبيق القانون:

ومن الأحكام القاسية التي أخذت على سحنون، الذي عرف بأنه كان رفيق القلب عزيز الدمعة، ولكنه في نفس الوقت شديد على الحق، لا يخاف في الله لومة لائم³ ما أنزله من عقاب على خصمه ابن أبي جواد أنهم لم يؤدي الحقوق التي لهم عليه، فضربه ثمانية عشر سوطاً مجرد في السماط، يضربه سبعة بعد سبعة وهو مهتاد فحبسه أياماً وضربه عشر أسواط، وكان يخرج في كل جمعة يضربه إلى أن مرض، وكانت أسماء بنت أسد بن الفرات زوجة ابن أبي جواد قالت لسحنون أنا أهبه هذا المال يقضيه عن نفسه، فلم يقبل سحنون بذلك وقال لها: أودي ما لزمني، وقيل فعل ذلك به لأن مالك لا يلزم قبول الهدية، وقيل قالت له: أفدي به زوجي، قال لها: إن أفر ذلك المال أو أبدل منه أطلقته، وأبي سحنون قبول المال إلا بإقراره، إلى غاية وفاته⁴.

إن الشدّة في تطبيق القانون لم يقتصر على ابن جواد وإنما كان يقضي بصرامة ضد أقارب الأميرة وأعوانه ويأخذ منهم الحقوق لأصحابها ويطبق عليهم

1- القاضي عياض:المصدر السابق،ج2،ص599.

2- عبد الحميد سعد زغلول:تاريخ المغرب العربي،تاريخ دولة الأغالبة و الرستميين وفي مدارر والأدارسة حتى قيام الفاطميين،ب ط ،ج3،منشأة المعارف جلال حزبي، إسكندرية،1989م،ص103.

3- القاضي عياض:المصدر السابق،ص588.

4- أبو الحبيب سعدي:المصدر السابق،ص67.

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، مثلهم في ذلك مثل غيرهم من أبناء الشعب، وكان سحنون أول من أحدث منصب صاحب المظالم في تونس وفوض إلى الحكم في الدعاوي البسيطة، وقد ولي حبيب بن نصر بن سهل التميمي وأوصاه بقوله: "اتق الله يا حبيب الذي إليه معادك، ولا تؤثر على الحق أحدا"¹، قال جبلة بن يوسف: "كان سحنون يؤدب الناس على الأيمان التي لا تجوز في الطلاق حتى لا يحلفوا بغير الله، ويؤدبهم على سوء الحال في لباسهم وما نهى عنه، ويأمرهم بحسن السيرة والقسط"².

هكذا نلاحظ أن القضاة الأوائل الذين بعثوا للولايات الأغلبية كلهم تقريبا يعدون إلى عهد سحنون، ما عدا قاض الذي يذكر أنه ولي قضاء تلك المدينة قبل سحنون ثم ولاه سحنون بعد ذلك تونس، أي أن بصمة سحنون في هذا التعيين موجودة دائما³، وكان اهتمامه بالأحكام القضائية إذ نجد في المدونة لإمام سحنون بن سعيد نقراً فصلاً سماه "كتاب الأفضية" فيه يسأل سحنون شيخه ابن القاسم عن كثير من الأحكام ويجيبه الشيخ بما يعرف عن الإمام مالك بن أنس رضي الله عنه وأسئلة سحنون مختلفة تناولت مواضيع الخصومات وحكم القاضي عندما يفهم القضية والشهادة من أهل الكفر، إذ انعدم المسلمون وشهادة النساء في القتل الخطأ وصيغة للحلف أو القسم ومكانه والشرط وفي البيع والشراء، وشهادة المرأة مطلقاً وشهادة الزور وحكمه وحياسة دار الميراث والورثة وخصومات الزنا وظروفه كل هذه الأحكام القضائية التي احتوتها المدونة وغيرها كانت كلها دعائم لإقامة سحنون لقضاء عادل⁴.

رابعا: موقفه من السلطة الحاكمة وما يقع بينهم من صدمات:

إن اتصال الفقهاء بالأمر في دولة الأغلبية لم يكن وثيقاً بالقدر الذي يسمح لسحنون بالتدخل في الأمور السياسية، غير أنه كانت هناك صلة تربطه بهم للمصلحة العامة لا الخاصة، لكن بعد تقلده منصب القضاء اتخذت صلته منحي

1- سعد زغلول: المرجع السابق، ص106.

2- أبو الحبيب سعدي: المصدر السابق، ص71.

3- إبراهيم يكير بحاز: المرجع السابق، ص202.

4- إبراهيم يكير بحاز: المرجع السابق، ص208.

خاص، فقد حرص كل الحرص علي نراهة وظيفته مما أجبره إلى التدخل في الأمور السياسية منها وكان له تأثير كبير عليهم¹.

أ- علاقته مع السلطة قبل توليه القضاء:

ولد سحنون بن سعيد قبل قيام دولة الأغالبة أو إمارة الأغالبة بربع قرن تقريباً، ومعروف أن الأغالبة ولاة إفريقية للعباسيين ومثلوا المذهب السني في نفس الوقت في إفريقية، وكانوا يحكمون البلاد حكماً مطلقاً، تقريباً كأنهم أمراء مستقلون مع احتفاظ الخلافة العباسية بالحق الرقابة والتعيين الاسمي للأمراء من أسرة بني الأغلب وتعيين القضاة.²

لم يكن لسحنون نشاط يذكر في علاقته مع المهالبة، بل كان طوال حياته كلها سواء مع المهالبة أو الأغالبة حريصاً أن يكون وسيطاً بينهم وبين الناس، وشبه الرقيب الشرعي على الناس دون أن يكون خارجاً على سلطانهم، ومن هذه الناحية كان يتشبه إلى حد كبير بمالك بن أنس رضي الله عنه، وكان لا يتقاضى أي راتب أو مال منتظم من الأمراء، وهذا لا يمنع أنه لم يكن يتعالى عنهم كان أيام المهالبة منصرفاً كلياً لدراسة الفقه وطالب العلم مبتعداً عن السلطة والإدارة والأمراء.³

بعد ذلك عاصر سحنون بن سعيد خمسة من أمراء الأغالبة وهم إبراهيم بن الأغلب مؤسس الإمارة الأغلبية وأبو العباس عبد الله بن إبراهيم وزياد الله بن إبراهيم، وأبو العقال بن إبراهيم وانصرف إلى التعليم بمسجد القيروان وعقد مجالس والمناظرات والمناقشات في المسجد التي كان يحضرها كبار الفقهاء والعلماء، كما انه كان يناظر الفقهاء بكفاءة عالية عظيمة، ويتميز بعلمه فتيين لأهل إفريقية أن بينهم فقيه يرجي له مستقبل باهر وبدأ اسمه يشتهر وأخذ احترام العلماء له يتزايد يوم بعد يوم.⁴

- عبد العزيز مجدوب: المرجع السابق، ص 471
- أبو العرب: المصدر السابق، ص 102.

3- المالكي: المصدر السابق، ص 280.

4- ابن خلكان: المصدر السابق، ج 1، ص 305.

كان سحنون قوي الشخصية وذا علم وفقه مما جعل بن الأغلب يمتنون بهذا الفقيه هو ما أثاره علمه وآراءه وبلاغته وتصديق للحق، فازدادت مخاوف قلب الأمير الأغلب الذي اهتم بأن يضع المصاعب في طريقة سحنون وبحبل بينه وبين الرياسة مشيخة أهل الفقه والعلم في بلاد إفريقية.¹

و يتضح ذلك أن الأمير زياد الله بن الأغلب ذات يوم أمر أن يضرب سحنون خمسمائة سوط عقابا له على موقفه من قاضي القيروان آنذاك محمد بن أبي جواد، فقد رفض سحنون أن يصلي وراءه في إحدى الجنائز، فشكى القاضي الأمير زياد الله فأرسل أحد عمال لتنفيذ هذا الأمر لكن تدخل الوزير علي بن حميد فمنع ذلك.²

كان سحنون يكره الاتصال بدوي الجاه والنفوذ من الأمراء وغيرهم مع أن هؤلاء يحرصون كل الحرص لكسب مرضاه، كان يقول: "من أقبح العالم أن يؤتي إلى مجلسه فلا يوجد فيه فيسأل فيقول: هو عند الأمير، هو عند الوزير، هو عند القاضي، فإن هذا وشبهه لأشرف من علماء بني إسرائيل".³

أ- علاقته مع السلطة بعد توليه القضاء:

إن تمسك سحنون بذهب المالك والتزامه بفقهه وأحكامه و الدفاع عنه، و عدم السماح لأي كان أن يمنع انتشار أصوله و تعميق جذوره، تعتبر من أهم الأسباب التي جعلت منه شخصية قوية لا تهاب الأمراء رغم سلطانهم حيث كانت علاقته مع أمراء الأغلبية ورجالهم بعد توليه القضاء عام (234هـ/847م)، أيام أبي العباس بن إبراهيم منفصلة أي بعيدة عن أموره القضائية ولا يتدخلون في شؤونه،

1- محمد زينهم محمد عزب: المرجع السابق، ص138.

2- الدباغ: المصدر السابق، ص93.

3- القاضي عياض: المصدر السابق، ص349.

فالزهاد علي ورعهم و تقواهم كانوا لا يخافون سلطان لأنهم ألزموا أنفسهم خوفا ل ربهم¹ قال أبو العرب: "كان لا يهاب سلطانا في حق يقيمه عليه"²

ولما أكثر سحنون من رد الظلمات من رجال بني الأغلب أيام ولايته في القضاء ، وأبي أن يقيّل رسول من رجال البيت الأغلبى وولاته منهم وكلاء في الخصومات وأصر أن يحضروا بأنفسهم، وجه إليه الأمير وقد كان شكوه إليه بأنه يغلظ عليهم، فأرسل إليه ابن الأغلب، قال: إن فيهم غلظة وقد شكوك ورأيت معافتك من شرهم فلا تنظر في أمرهم، قال سحنون للرسول: "ليس هذا بني وبينهم قل له: "خذلتني خذلك الله" فلما أنهى الرسول الرسالة إلى الأمير قال ما نعمل به؟ إنما أراد الله فتركه"³.

ومن مواقف سحنون القاضي من أمراء الأغلبية انه كان لا يتأخر في إقامة الحق عليهم، فمنهم زوكاي بن رزيخ من بعض أصحاب الحروب التي كانت بإفريقية أتى بعدة حرائر أسيرات، فأخبر سحنون أن زوكاي أدخل سبع عشرة من بني الجزيرة فرشيات وعربيات، فأرسل سحنون إلى جميع النواحي والأقطار فاجتمع إليه ألف رجل، فقال: " لهم تخيروا بي من أحداكم ما أتى شاب أريدهم لأمر يأجروني الله عليه"⁴ فختاروا ما أجرهم، فلما صلى سحنون العشاء أمرهم بالمضي إلى دار زوكاي وأخرج القريشيات اللواتي سببت من الجزيرة وطلب منهم بقتل زوكاي إذا تعرض لهم واستطاعوا إطلاق صراح القيرشيات⁵، ذهب زوكاي إلى الأمير الأغلبى أبي العباس محمد بن إبراهيم يشكو إليه ما بادر من سحنون، فأرسل الأمير الأغلبى إلى سحنون بطلب منه إعادة الحرائر إلى زوكاي، لكن سحنون رفض الطلب بشدة وهدده بترك ولاية القضاء ، ومن هذا يتبين قوة سيطرته وحاجة الأمير إلى خدماته رغم تهديده وتركه لولاية القضاء، وقال

- سالم عبد العزيز: ندوة حضارة إسلام وبحوث في تاريخ الحضارة الإسلامية الذكري ،ب ط ،مؤسسة شباب الجامعة،

الإسكندرية،1986م،ص1031

2- أبو العرب:المصدر السابق،ص103

3-الدباغ :المصدر السابق،ص89

4-القاضي عياض:المصدر السابق،ج2،ص203.

5- محمد طالبي :تاريخ الحضارة افريقية،دائرة المعارف التونسية، عدد خاص المجمع التونسي، للعلوم و الآداب و الفنون "بيت الحكمة،قرطاج تونس ،ص62

لرسول قل لأميرك: "بلغ الأمير بالله الذي لا إله إلا هو لا أخرجهم من داري حتى يعزلني ويعلم الله أنني لا نظر لي ولا قضاء على رجلين"¹، وخرج ابنه محمد ليخبر رسول الأمير بما قاله سحنون ثم ذهب إلى قصر الأمير وقال له: "جعل الله لك زوكاي شفيعك يوم القيامة" فغضب الأمير من سحنون في أول الأمر، واستدعى ابنه محمد بن سحنون بقوله: "يطلب الله أن يعفيه الأمير من القضاء وهذا سجله بعث به لتولي أمر المسلمين من تراه" فقال الأمير له: "اقرأ على الشيخ السلام وقل له جزاك الله على نفسك وعنا عن المسلمين خيرا فقد أحسنت أولا وأخيرا وقلت بما يجب عليك امض على أحسن نظرك إن شاء الله"². ثم عاد محمد إلى أبيه فشكر الله موقفه واجتمع له أهل القيروان وشكروا له سعيه، فقال لهم سحنون: "تقدموا إلى باب الأمير فاشكروه، فأدخلهم أبو العباس، ووقع ذلك بموافقتة"³.

وقيل أن محمد بن سحنون وقف على منبر أبيه وقال: أشهد على صاحب هذا المنبر أنني سمعته يقول: "لتخف علينا ثونة من لا يصل إلى دارنا حتى يقضي الله فينا"⁴.

إن سحنون لم تكن له أي هيبة من الأمير الأغلبي فلقد توضح ذلك في عدة مواقف، كما كان يتخذ الأحكام القضائية دون مراعاة أي أحكام من الأمير ضده، ومن مواقفه أنه أثناء جلوسه على باب داره مر حاتم الجزري وهو أحد القادة العسكريين ومعه سبي من سبي تونس، فأمر سحنون أصحابه وأتباعه بإحضار السبي وخلصهم من يد حاتم الجزري وأتوا بهم لسحنون، فهرب حاتم لكن سحنون أمر بوضع حاتم في السجن، وكاد يحدث صدام بين الأمير وسحنون لولا تدخل معتب بن أبي الأزهر⁵

- يوسف علي البدوي: المرجع السابق، ص 781
2 - المالكي: المصدر السابق، ج 1، ص 310.

3- محمد الطالبي: المرجع السابق، ص 140.

4- الدباغ: المصدر السابق، ص 96.

5- محمد الأندلسي: المصدر السابق، ص 785.

قال له سحنون: "جعل الله حاتم شفيحك يوم القيامة".¹

أيضا من الأزمات التي وقعت بين سحنون والأمير الأغلب لما ثار قواقع للأمير أبي العباس بن الأغلب، أراد بعض قواد الجند أن يفتكوا بسحنون وان يسقطوه في المكائد بينه وبين الأمير الأغلب و طلبوا من أميرهم مشاورته في قتال قواقع بإعتباره خارج عليهم ، فأرسل إليه الأمير يأخذ منه الأمر والاستشارة في قتال قواقع، فكان رد سحنون بهذه العبارة "غشك من ذلك على هذا متى كانت للقضاة تشاورها الملوك في صلاح سلطانها"².

وبعث إليه رسالة فأخذها ابن الأغلب وضرب بها الأرض ثم قال: "ما أدري هو علينا أم نحن عليه".³

ومن مواقف سحنون التي قام بها نحو الأمير الأغلب أنه قيل لسحنون إن منصور الطنبذي، دخل تونس بالحرائر، فأمر سحنون بأخذها منه، فذهب منصور للأمير يشكوا إليه بعد أنشق ثيابه⁴ فأرسل الأمير إلى سحنون مرة فأكثر، ولكن سحنون كان مصمما على ألا يترك شيئا لمنصور الطنبذي كتب للأمير: "يَقُومُ مَالِي أَدْعُوكُمْ إِلَى النَّجْوَةِ وَتَدْعُونِي إِلَى النَّارِ"⁵ ثم قال ادفعه لابن الأغلب ، فلما قرأه أمره برفع مضربه واحتجب ثلاثا، ثم قال لمنصور سلني عما شئت من حوائجك، وأعرض عن خبر سحنون فهو لا يخافنا"⁶،

إن قول الأمير أنه لا يخافنا لا تفهم أنه كان خارج عليهم، بينما كان لا يخاف من قول الحق، كما أ، الأمير أولاه اهتمام كبير وقبل شروط توليه وكانت أولها أن يحكم بالحق دون مراعاة أي كان حتى لو كانوا من أهل بيت الأمير نفسه، كما كتب زياد الله لعلماء إفريقية يسألهم عن مسألة، فأخبروه إلا سحنون فعوتب في

1- الخشنى:المصدر السابق،ص131، الدباغ:المصدر السابق،ج2،ص203.

- سحنون بن سعيد: المصدر السابق،ص1062
3- محمد طالبي:المصدر السابق،ص145.

4- الدباغ:المصدر السابق،ج2،ص94. القاضي عياض:المصدر السابق،ج2،ص11، ابن السراج:المصدر السابق،ج2،ص210.

5- سورة غافر، الآية41.

6- القاضي عياض:المصدر السابق،ص351.

ذلك فقال: " أكره أن أجيبه فيكتب إلي ثانية اشتغال لمعرفة الأمراء" ¹ فقال: " إبراهيم بن عبدوس، في مثلها أخرج من بلد القوم أمس لا يتفقه في الدين، ولو علمت أنه يقصد الحق ².

إن تمسك سحنون بمواقفه القضائية ومساندة الأمير الأغلب له جعلت منه القاضي الذي استطاع أن غير في النظم القضائية التي لم تكن تسمح لقاضي قبله، ففوة شخصية الفقيه وزهده وورعه حملت السلطة الحاكمة على قبول ذلك، وذلك لضمان الوحدة القضائية والوحدة الاجتماعية ³.

لم يكتفي سحنون من تدريس معارضيه ليكونوا عصب المذهب المالكي بعد ذلك، فقد استعاد القضاء بواسطته مظهره وحيويته ومتطلباته التي لم يكتسبها في عهد إبراهيم الأول، وفوض إليه كل الفقهاء بإجماع القضاء بصفته قائد لحزب السنة، وعزم على مراقبة سياسة الأمير نفسه و تعطيلها في الميدان الذي إعتبره من شمولياته و يتضح ذلك مع ما حدث مع زوكاي و قويقع، إلى غاية إدخال شريكا له في القضاء وهو الطبني الذي لم يدم طويلا حتى توفي سحنون ⁴.

- المصدر نفسه، ص 1511
2- المصدر نفسه، ص 353.

- إبراهيم بكير بحاز: المرجع السابق، ج 2، ص 2473
- محمد طالبي: المرجع السابق، ص 147. ⁴

الخاتمة:

إن المغرب الإسلامي عامة وإفريقية خاصة منذ بداية القرن الثاني هجري والثامن ميلادي أي خلال الحكم الأغلبي، عرف استقرارا سياسيا ولو نسبيا مما جعل قاعدته القيروان تعج بأهم الفقهاء وعلماء ذلك العصر، الذين من خلالهم ارتسمت مختلف التطورات الفكرية والمذهبية والاجتماعية والسياسية، وكان سحنون بن سعيد التنوخي أهم علماء النهضة الفقهية، التي قامت بإفريقية انذاك والذي كان رمزا للحضارة الأغلبية و ذلك من خلال أعماله و مجهوداته أهمها:

- سعيه وحرصه في طلب العلم في إفريقية من أهم علمائها وشيوخها مما جعله من بين أهم علماء ذلك العصر ،وجلوسه للتدريس في جامع القيروان حتى أصبح قبلة للطلاب الذين وفدوا عليه من كل مكان ،وتدريس الأهم كتاب في الفقه المالكي و هو الموطأ لمالك بن أنس حيث كان من أهم الأسباب الأساسية في نشر المذهب المالكي.
- كما اجتهد إلى ربط صلاته مع مراكز أخرى في الفقه المالكي في كل من مصر والحجاز وذلك بعد وفاة قاعدته مالك بن أنس رضي الله عنه، واستسقاء أصوله على يد مشايخه الذين درسوا مباشرة من الإمام مالك أمثال عبد الله بن نافع وعبد الرحمن بن القاسم وغيرهم من الأئمة الكبار حتى أصبح بقدر علمهم و اكبر فقهاء عصره شأنًا.
- علو مكانته و فضل سحنون في التاريخ الإسلامي،حيث أنه ألف واحدة من أكبر وأهم مدونات لفقه مالك وهو كتاب معروف بالمدونة الكبرى، فهو يلي كتاب الموطأ الذي دونه الإمام مالك بن أنس وكان أصله الأُسدية التي دونها أسد بن الفرات، وصححها سحنون وأعاد كتابتها على يد عبد الرحمن بن القاسم مقتصرًا على الفقه المالكي وأصوله، وتبويبها وترتيب مسائلها ،مما جعل أهل إفريقية يقتصرون عليها والتي انتهت إليها الرياسة في طلب الفقه المالكي.
- يظهر دوره جليا أنه برع في الفقه المالكي حتى قيل أنه أفقه من أصحاب مالك كلهم وإليه يرجع الفضل في نشره في إفريقية وتعميق جذوره في بلاد المغرب الإسلامي وامتد صيته إلى بلاد مصر والشام والعراق وكثر تلاميذه في هذه البلاد، وإضافة إلى ورعه وزهده وقوة شخصيته كانت من أسباب ترسيخ المذهب المالكي هناك.

- محاربتة لأهل البدع والأهواء والفرق الكلامية، من معتزلة وخوارج صفرية وإباضية وتفريق حلقاتهم في المساجد، كما اشتهر بعمق المناقشة لهم ومناظرتهم .
- و إدخاله نظم قضائية جديدة بإفريقية منها وظيفة المحتسب التي لم تعرفها إفريقية من قبل إلا على يده، إلى جانب تعيين النواب في البوادي وبقية أجزاء إفريقية، وخروجه إلى الأسواق وحرصه الشديد لتقصي أحوال الناس بنفسه، وهذه من الأعمال التي لم تكن تعرف إلى حين تولي سحنون القضاء.
- إن العمل الذي قام به و يحسب لجهوده هو أنه أول من جعل من الجامع إماما يصلي بالناس وهذا التعيين لم يكن من صالح القاضي وإنما الأمراء هم من يعينون الأئمة قبله.
- كما كان شديد مع أقارب السلطان وحاشية حتى يقيم عليهم الحق، وكان الأمراء الأغالبة يرسلون لسحنون في طلب المشاورة والنصح غير أن سحنون يمنعه زهده وورعه من اتصال بهم وقبول هداياهم وحتى راتبهم الذي كان من حقه.
- تصديه بكل ما لديه من قوة ضد أي جبروت أو سلطة حتى ولو كان الأمر من الأمير الأغلبي نفسه، والحفاظ على حقوق الفقير والمظلوم رغم الصعوبات التي كانت تقف حاجزا أمام نزاهته القضائية.
- بالإضافة إلى أن حياته كانت مليئة بالجهاد العلمي والفكري والاجتماعي، و عامرة بنفحات التقوى والورع الصالح دامت 78 سنة، توفي سحنون بن سعيد التنوخي، لكنه ترك أهم قاعدة علمية وفقهية درس على يده ابنه محمد الذي كان من أقطاب العلم في تاريخ الفقه المالكي بإفريقية بعد وفاة والده.

قائمة المصادر والمراجع:

القرآن الكريم، رواية ورش عن نافع، ط2، بيت القرآن للطباعة و النشر، سوريا، 2004م

1- المصادر:

1. أبي العرب (محمد بن أحمد بن تميم): **طبقات علماء إفريقية**، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ب، ت، ب د.
2. ابن أبي زرع (محمد بن علي الأنيس الفاسي): **المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب مدينة فاس**، تحقيق عبد الوهاب بن منصور، دار المنصورة للطباعة والوراقة، الرباط، 1972م.
3. ابن الأبار (محمد بن عبد الله): **الحلة السراء**، ط2، تحقيق حسين مؤنس، دار المعارف، القاهرة، 1985 م.
4. ابن الأثير (أبو الحسن محمد بن محمد عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني): **الكامل في التاريخ**، ج10، ط4، دار الكتاب العربي بيروت، 1983م.
5. ابن بشكوال، **الصلة**، ط1، تحقيق إبراهيم الأبياري، دار الكتاب المصري، القاهرة، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1410هـ/1989م.
6. ابن حزم (أبي محمد بن أحمد الظاهري): **فصل في الملل والأهواء والنحل**، تحقيق محمد إبراهيم وعبد الرحمن عميرة، ج3، ط2، دار الجيل بيروت، 1416هـ/1996م.
7. (—————): **جمهرة أنساب العرب**، تحقيق عبد السلام محمد هارون، ط5، دار المعارف، القاهرة، ب ت.
8. ابن حوقل (أبي القاسم النصيبي): **صورة الأرض**، دار مكتبة الحياة للطباعة، بيروت، ب د، ب ت.
9. ابن خلكان (أبي العباس شمس الدين): **وفيان الأعيان وأنباء أبناء الزمان**، تحقيق حسان عباس، ج18، ب ط، دار الصادر، بيروت، 1414هـ/1994م.
10. ابن الخطيب (لسان الدين محمد أبو عبد الله بن عبد الله السلماني): **المغرب العربي في العصر الوسيط**، القسم الثالث من أعمال الأعلام، تحقيق مختار عبادي و محمد إبراهيم الكناني، دار الكتاب، دار البيضاء، 1964 م.

11. ابن خلدون عبد الرحمن: كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العبر والبربر ومن عاصرهم من دوي الشأن الأكبر، دار الكتاب اللبناني ومكتبة المدرسة، بيروت، لبنان، 1983 م.
12. (—————) المقدمة، تحقيق درويش الجويدي، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، بيروت، 1423هـ/2002م.
13. ابن خلفون الأندلسي: أسماء شيوخ الإمام مالك بن أنس، تحقيق وتعليق محمد زينهم ومحمد عزب، مكتبة الثقافة الدينية بور سعيد، القاهرة، ب.ت.
14. ابن الخير (أبو بكر بن عمر الإشبيلي): الفهرسة، وضع حواشيه محمد فؤاد منصور، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1419هـ/1998م.
15. ابن أبي دينار (محمد بن أبي القاسم الوعيني القيرواني): المؤنس في أخبار إفريقية وتونس، تحقيق محمد شمام، ط1، المطبعة الدولية التونسية بحاضرتها المحمية، تونس، 1286م.
16. ابن عذارى (محمد المراكشي): البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تحقيق كولان وليفي بروفنسال ط3، دار الثقافة، بيروت، 1983م.
17. ابن الفرضى (عبد الله بن محمد بن يوسف الأزدي): تاريخ علماء الرواة للعلم بالأندلس، عنى بنشره وصححه عزت العطار الحسين، ط2، مكتبة النجابي، القاهرة، 1408هـ/1988م.
18. ابن عبد البر (أبو عمر يوسف بن عبد الله ابن محمد النمري الأندلسي): الاستذكار الجامع لمذاهب فقهاء الأمصار وعلماء الأقطار فيما يتضمن الموطأ من معاني الرأي والآثار وشرح ذلك كله بإيجاز واختصار وثق أصولها: المعطي أمين قلعجي، مجلد 1، ط1، دار قتيبة للطباعة والنشر، دمشق، 1414هـ/1993م.
19. ابن فرحون (إبراهيم بن نور الدين): الديباج المذهب في معرفة أعيان المذهب المالكي، تحقيق مأمون بن محي الدين الجنان، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1417هـ/1996م.
20. ابن قنقد (أبي العباس أحمد ابن الحسن بن الخطيب القسنطيني): الوفيات الأعيان، تحقيق عادل النويهض، ج13، ط4، دار الأفاق الجديد، بيروت، 1400هـ/1983م.

21. ابن المنظور (أحمد بن مكرم): **لسان العرب**، ج1، ط1، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1300هـ.
22. أبو الحسن العامري: **الأعلام بمنابح الإسلام**، تحقيق احمد عبد الحميد غراب، ب ط، دار الكتاب العربي للطباعة ونشر، القاهرة، 1967م.
23. ابن سحنون محمد: **كتاب آداب المعلمين**، تحقيق محمود عبد المولى، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981م.
24. ابن سعيد المغربي: **المغرب في حلى المغرب**، تحقيق شوقي ضيف، ج2، ط4، دار المعارف، مصر، 2009م.
25. ابن عماد (شهاب الدين أبي الفلاح الحنبلي الدمشقي): **شذرات الذهب في أخبار من ذهب**، ج2، ط1، تحقيق وتعليق عبد القادر الأرنؤوط ومحمود أرنؤوط، دار ابن كثير، بيروت، 1406هـ/1986م.
26. ابن عبد الملك المراكشي الأنصاري: **الذيل والتكملة لكتاب الموصل والصلة**، تحقيق إحسان عباس، نشر وتوزيع دار الثقافة، بيروت، 1965م.
27. ابن سراج (محمد بن محمد الأندلسي): **الحلل السندسية في أخبار التونسية**، تحقيق محمد الحبيب هيلة، مطبعة الدولة التونسية بحضارتها المحمية، تونس، 1967م.
28. البكري (أبي عبد الله): **المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب وهو جزء من كتاب المسالك والممالك**، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، ب.ت.
29. البرزلي (أبو القاسم بن أحمد البلوي التونسي): **فتاوى البرزلي**، جامع مسائل الأحكام لما نزل من القضايا بالمفتين والحكام، تحقيق محمد الحبيب الهيلة، ج1، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2002م.
30. التنبكتي (أبو أحمد بن أحمد): **نيل الابتهاج بتطريز الديباج**، تقديم عبد الحميد عبد الله الهرامة، ج1، ط1، كلية الدعوة الإسلامية، طرابلس، 1398هـ/1989م.
31. الباجي المسعودي: **الخلاصة النقية في أمراء إفريقية**، تحقيق محمد بيرم، ط2، مطبعة بيكار وشركائه بنهج أنيال، تونس، 1323هـ.
32. الحموي (شهاب الدين ياقوت بن عبد الله): **معجم البلدان**، دار الصادر، بيروت، 1397هـ/1977م.

33. الخشني (محمد بن الحارث): كتاب طبقات علماء إفريقية، دار الكتاب اللبناني، بيروت.
34. (—————) قضاة قرطبة وعلماء إفريقية، صححه: عزت العطار الخشني، ط1، مكتبة الناخي القاهرة، 1372هـ/1953م.
35. الدباغ (عبد الرحمن بن محمد): معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان، تحقيق إبراهيم شبوخ، ط2، مكتبة الخانجي، مصر، 1388هـ/1968م.
36. الذهبي (شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان): سير إعلام النبلاء، تحقيق شعيب أرنؤوط وآخرون، ج1، ط1، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1401هـ - 1981م.
37. السيوطي جلال الدين: تزين الممالك بمناقب الإمام مالك، تحقيق هشام بن محمد حبير الحسني، ط1، دار الرشد الحديثة، دار البيضاء، المغرب، 1431هـ/2010م.
38. التنوخي بن سعيد سحنون: المدونة الكبرى، تنسب المدونة للإمام مالك بن أنس الأصبحي، ج1، طبعة صادر بيروت، 1323هـ.
39. الراعي (شمس الدين محمد بن محمد الأندلسي): انتصار الفقير السالك لترجيح مذهب الإمام مالك، تحقيق محمد أبو الأجنان، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1981م.
40. السقطي (أبي عبد الله محمد بن أبي محمد المالقي الأندلسي): في آداب الحسبة، مطبعة باريس، 1931م.
41. المالقي (أبو الحسن بن عبد الله بن الحسن النبھاني الأندلسي)، مرقبة العليا فيمن يستحق القضاء والفتيا، تحقيق لجنة إحياء التراث العربي، ط5، دار الأفاق، بيروت، 1403هـ/1983م.
42. القاضي نعمان (أبي حنيفة بن محمد التميمي المغربي): افتتاح الدعوة، تحقيق فرحات الدشراوي، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، 1426هـ/2005م.
43. القاضي (عياض أبو الفضل عياض): ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك، صححه وضبطه محمد سالم هاشم، ج1، ط1، دار الكتب العلمية بيروت، لبنان، 1418هـ/1998م.

44. (—————): تراجم أغلبية مستخرجة من مدارك القاضي عياض، تحقيق محمد الطالب، المطبعة الرسمية للجمهورية التونسية، ب د، 1968م.

45. المقرئ (شهاب الدين أحمد بن محمد التلمساني): أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض، تحقيق مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري عبد الحفيظ شلبي، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، 1359هـ/1940م.

46. (—————): نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكرها وزينها لسان الدين بن الخطيب، ج، تحقيق محمد البقاعي، ط1، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 1989م.

47.

48. المالكي (أبي بكر عبد الله بن محمد): رياض النفوس في طبقات علماء القيروان وإفريقية وزهادهم ونسائهم وسير أخبارهم وفضائلهم وأوصافهم، تحقيق بشير البكوسس ومحمد العروسي المطوي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1414هـ/1994م.

49. الونشريسي (أبي العباس أحمد بن يحيى): المعيار المغرب بجامع المغرب عن فتاوى أهل إفريقية والأندلس والمغرب، أخرجه جماعة من الفقهاء بإشراف: محمد حجي، ب ط، نشرته وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية المملكة المغربية، الرباط، 1401هـ/1981م.

50. المارودي (أبي الحسن علي بن محمد بن حبيب): الأحكام السلطانية والولايات الدينية، تحقيق أحمد مبارك البغدادي، ط1، مكتبة دار ابن قتيبة، الكويت، 1409هـ/1989م.

51. القيرواني الرقيق: تاريخ إفريقية والمغرب، تحقيق محمد زينهم محمد عزب، ط1، دار الفرغاني للنشر والتوزيع، 1414هـ/1994م.

52. المقرئ (تقي الدين أبي العباس أحمد بن علي): المواعظ والأعيان يذكر الخط والآثار الخط المقرئية، تحقيق محمد زينهم و مديحة الشرقاوي، ج2، مكتبة مدبولي، ب د، ت.

53. الإدريسي (أبو عبد الله الشريف): نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، القارة الإفريقية وجزيرة الأندلس، تحقيق إسماعيل العربي، ديوان المطبوعات الجامعية، بيروت، 1983م.

54. الصفدي (صلاح الدين خليل بن آيبك): الوافي بالوفيات، تحقيق أحمد الأرنؤوط وتزكي مصطفى، ج13، ط1، دار الإحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، 1420هـ/2000م.
55. اليعقوبي (إسحاق بن واضح): البلدان، تحقيق محمد أمين صناوي، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 2002 م.
56. الثعالبي عبد العزيز: تاريخ شمال إفريقيا من الفتح الإسلامي إلى نهاية الدولة الأغلبية، تحقيق أحمد بن ميلاد ومحمد إدريس، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1407هـ/1987م.

المخلص:

تضمنت هذه المذكرة دراسة للفقهاء والقاضي سحنون بن سعيد التتوخي (162-240هـ/779-854م) الذي يعتبر من بين أهم فقهاء وعلماء الذين ظهوروا في تاريخ المغرب الإسلامي خلال العصور الوسطى.

لم تتح له الفرصة للدراسة على يد الإمام مالك بن أنس رضي الله عنه لكنه درس على يد كبار تلامذته من دعائم المدرسة المالكية بإفريقية والمشرق الإسلامي، في كل من مصر والحجاز وعاد إلى بلاده شيخاً متكامل العلم ناضج الشخصية، فجلس بمسجد القيروان وبدأ ينشر المذهب المالكي وتدرّس مدونته التي تعتبر أكبر تأليف في الفقه المالكي بعد موطأ مالك.

وقد وهب الله سحنون عقلاً ذكياً وخلقاً حكيماً مما جعله أكبر قضاة إفريقية في العهد الأغلبي مما كلف أمراء الأغلبية على طاعته ولذا شعر الناس في عهده بالطمأنينة وأحسوا بانتظام القضاء وإجراء العدالة الحقة.

الكلمات المفتاحية: إفريقية- الدولة الأغلبية - سحنون - الفقيه - المذهب المالكي - المدونة - القضاء.

قائمة المختصرات:

المعنى

الجزء

الرمز

ج

الطبعة	ط
الصفحة	ص
تحقيق	تح
تعليق	تع
تقديم	تق
مراجعة	مرا
ترجمة	تر
بدون تاريخ	ب - ت
بدون طبعة	ب - ط
بدون بلد	ب - د
الميلادي	م
الهجري	ه

الفهرس:

كلمة شكر .

الإهداء.

قائمة المختصرات.

مقدمة أ

مدخل 6-

الفصل الأول: نشأة سحنون بن سعيد التتوخي 18

أولاً: المولد والنسب	20
ثانياً: بداية تكوينه العلمية.....	22
ثالثاً: رحلته لطلب العلم.....	25
رابعاً: شيوخه و تلاميذه.....	33
الفصل الثاني: الدور العلمي للفقير سحنون بن سعيد	
التنوشي.....	34
أولاً: دوره في نشر المذهب المالكي.....	41
ثانياً: جلوسه للحديث.....	45
ثالثاً: موقفه من أهل البدع ومحنة خلق	
القران.....	49
رابعاً: المدونة و مكانتها العلمية.....	57
الفصل الثالث: توليه منصب القضاء ودوره في	
إصلاحاته.....	58
أولاً: القضاء في دولة الأغلبية قبيل تولي	
سحنون.....	59
ثانياً: توليه منصب القضاء.....	61
ثالثاً: تنظيماته القضائية.....	64
رابعاً: موقفه من السلطة الحاكمة وما يقع بينهم من	
صدّامات.....	77
الخاتمة:.....	79
الملاحق:.....	81
البيبيوغرافيا:.....	84
قائمة المختصرات:.....	85

المقدمة

الفصل

الأول

الفصل

الثاني

الفصل

الثالث

الخطامة

قائمة المصادر والمراجع

الفهرس

مذخر

الملاحق

البيبيو غرافيه

ا

إهداء

أهدي ثمرة جهدي هذا إلى روح والدي محمد وأخي أحمد رحمهما
الله سبحانه وتعالى و أن يجزيهما خير جزاء ويكتب هذه المذكرة باسمهما في
ميزان العلم النافع في الدنيا و الآخرة.

إلى من أفنينا شبابها و أرهقنا أيامها و ركبت الصعاب وبذلت الكثير الكثير من
أجلنا إلى من لها الفضل بعد الله سبحانه و تعالى أمي أمدها الله كامل الصحة.

إلى من له الفضل كل الفضل في دعمي، وكان سنداً لي وصبر على عناء
البحث والكتابة زوجي حفزه الله سبحانه وتعالى .

إلى كل إخوتي وأخواتي: علي، قاديرو، كمال، لعاليا، فتيحة و أخص
بالذكر: نفيسة و زهرة اللتان كانتا دعماً لي و ساعدوني طيلة مشواري
الدراسي، وإلي الأحفاد: أحمد، أنس، هاجر.

إلى عائلتي الثانية: أمي الياقوت وأبي محمد أطل الله في عمرهما، و
صديقاتي: أمال و نسرين وأمينة و نوال.

الشكر و عرفان

إنه لا من واجبي الاعتراف بفضل الله سبحانه وتعالى وسيدنا محمد أفضل الصلاة و أتم تسليم له أولا.

ثم الفضل لأستاذي المشرف بوداعة نجادي ثانيا الذي كان عوننا كبيرا لي أثناء أنجازي لهذه المذكرة بنصائحه السديدة وتوجيهاته الرشيدة فله مني كل التقدير و الاحترام و الشكر.

كما أتقدم بالشكر ألي كل أساتذتي قسم تاريخ و الاعتراف لهم بالجميل لما قدموه لنا من معلومات و نصح وتوجيه طيلة مشواري الجامعي و إلي كل من مد لي يد العون منقريب أو بعيد ولو بالدعاء.

